ثيوديسيا

ثيوديسيا

"آخر سلالة هوميروس"

رواية

محمود يوسف

تصميم الغلاف: محمد محسن

رقم الإيداع:2001 /2020

I.S.B.N:978- 977-6640-67-2

الطبعة الأولى2020م

زين للنشر والتوزيع

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

محمود يوسف

ثيوديسيا

"آخر سلالة هوميروس"

رواية

(مقدمة)

(كانت المعركة في أوجها لمّا تدخّل الساموراي السبعة والأربعين فجأة من اللاشيء يواجهون في شجاعة ذلك التنّين المجنّح الذي كان ينفث النّار بدلًا من دخان السجائر الرخيصة..

تنين يدخّن السجائر الرخيصة؟ ألم يعطه الملك نقودًا ليغير ذلك النوع الرديء؟

هذا ليس وقتًا للسؤال..

لقد ركله "هرقل" بعيدًا كالكرة وسط اندهاش الساموراي السبعة والأربعين وتصفيقهم الحادّ..

ثم صرخوا في استهجان لمّا ضربه أخوه "أطلس" على ظهر يده قائلاً: (كخ.. كخ..)

ثم اختفى الجميع..

يخبرني هذا المنبه بنور خافت أنها الحادية عشرة قبل منتصف الليل..

ولماذا أسمع الكثير من الجلبة بالخـ..

بالخـ..

.. ـارج

اللعنة على الطعام الدسم

(بوليفيموس وهرقل إخوة؟ إذًا بوليفيموس هو أخ لـ أطلس؟..

لماذا إذًا لم يرتادا ذات المدرسة؟

ألهذا علاقة بأن الكيكلوبس باعو بوليفيموس؟ أم أن له علاقة بأن أوديسيوس مخادع؟

لماذا يخدع الجميع بوليفيموس؟

حتى أن أبوه قد تنكّر له!

حسنا.. سأتبنّاه وأقدّم له وجبة شهيّة من الـ..)

ثم اختفى الجميع..

عذرا يا سيد "بوليفيموس" أنا لست نذلًا كالجميع ولكنها تلك الضوضاء مجدّدا..

عقارب المنبّه تشير إلى الحادية عشرة وسبع دقائق..

صدق من قال إن الحلم قد يأخذ خمس ثوان فقط من نومك..

ثم انتفضت من الفراش لمّا أدركت أن تلك الجلبة قريبة جدا..

قريبةً لدرجة أنها في بهو البيت في الطابق الأرضي..

اللعنة على شطائر الفول التي يحضرها لي خفير العزبة، لقد شككت حينها أنه يتعمّد وضع المنوم لي داخلها..

كنت أبحث عن النظارة طلبًا لرؤية أوضح حتى أهبط الدرج وأرى ما يحدث بالضبط.. ولماذا النظارات؟ سؤال وجيه أترك إجابته لأي شخص يحتاج النظارات حتى يرى العالم بشكل أوضح..

ثم هبطت الدرج في شموخ شخص لم يجد نظّاراته ويضيّق عينيه كثيرًا حتى يحدّد بالضبط ملامح الأشخاص الواقفين في البهو..

هما شخصان ولا شكّ.. ولكن أأحدهما مجنّح أم أن هذا حلم آخر؟!!

قصّة "كوركيس"

بدأ الأمر منذ عام تقريبًا قبل وفاة جدّي . رحمه الله - بيوم واحد عندما أصرّ على أن يقصّ عليّ ذات القصّة العجيبة وهو يحاول أن ينحت قلمًا من الخشب بأدواته الدقيقة..

جدّي: هل سمعت يومًا عن "ثيفا"؟

قلت في استنكار وأنا أنظف المكتبة فوق رأسه: لا يا حاج "زين"

ابتسم دون أن يرفع رأسه: هي مدينة يونانيّة اسمها "طيبة"

: "ثيفا" هي مدينة يونانية اسمها "طيبة"؟ هذا منطقيّ

ثم تناولت بعض الكتب وهبطت السلّم الخشبيّ وأنا أقول: مجدّدًا اليونان ياحاج "زين"؟ هل أنت واثق من أن لنا جذورًا يونانيّة يا حاج؟

تنهّد جدّي في شوق قائلاً: نعم يا بنيّ وقد حان الوقت لتعرف شيئًا عن جذورك

قلت وأنا أنفض التراب عن بعض المجلدّات في يدي: كلّي آذان صاغية..

هي قصّة دومًا ما يقصّها جدّي عليّ وعلى والدتي من قبل ولكنّني لا أجد ضرًّا في أن أستمع له حتى ولو كان يقصّها للمرة الألف في حياته..

قال: ("ثيفا" و"أثينا" هما مدينتان يونانيّتان كانتا تتحالفا للوقوف أمام "فيليب المقدونيّ" في عام 338 ق..م.. وكان الاستعداد قد بلغ أشدّه لدرجة أن المشاعل كانت تحيل الليل إلى نهار تلو النهار.. وكأن العالم يترقّب نتيجة ذلك الصراع..

كان الرجال أشدّاء بحقّ، وكانت عزيمتهم أحدّ من سيوف أعدائهم.. ينفضون غبار التدريب عنهم في سعادة بالغة، يركلون بقايا سيوف تكسّرت في أيديهم ويبصقون على أرض لم تنجب أقوى منهم في رأيهم.. ثم يمضون جميعًا ويبقى ذلك التعس..

"كوركيس"، قائد الفيلق..

بالرغم من قوّة بنيانه وصلابة عوده إلا أنه الآن يملك قلبًا رقيقًا غاضبًا يستعر ألما..

كانت كفّه تسحق الأعناق سابقا..

كان أحيانًا ما يمتطي جواده كالمجنون لا يحمل سوى درع يغوص به في جيوش الأعداء يضرب رؤوس الخيول بقبضته ويدهس الفرسان بحصانه الضخم..

كانت جنوده تخشاه لما يعود من أرض القتال مليئًا بالطعنات وهو يضحك..

كان لقبه "زيوس"..

ولكنّه الحبّ دائما..

بغضب أفزع الجنود من حوله لما نادى على "أندريه" بصوته الأجشّ: أحضر لي "زيناس".. أحضر ذلك الساحر وإلا أقسم بقبر أمّي أنني سأسحق عظامكما معا..

هرع "أندريه" النحيل –"طعام الدجاج" كما يصفه أصحابه - إلى خيمة "زيناس" يأمره في ارتباك واضح أن يحضر فورًا إلى "كوركيس"..

تعجّب الساحر الشاب إذ أن القادة لا يعلنون حاجتهم للسحرة على الملأ!.. إذًا فالأمر جلل هذه المرة..

خرج "زيناس" يجرّ عباءته البنيّة ومن خلفه "أندريه" يركض تحت خوذته الثقيلة قاصدان صخرة "كوركيس" في أرض التدريب..

"زيناس": سيدي، لقد أخبـ..

"كوركيس" غاضباً: أمهلتك ثلاثة أيام.. أين هي؟ أين "ساندرا"؟

ولمّا صمت "زيناس" طويلا، أردف "كوركيس" وهو يعتصر ضروسه: لأجعلنّ منك عبرة يقصّها التاريخ هذه المرّة..

مرّ أسبوع على "زيناس" وهو معلّق من أطرافه كالأضحية، تحرقه الشمس، يشكو حلقه قلّة المياه وتقرقر معدته من ندرة اللقيمات التي تلقى في حلقه حتى يظلّ حيا..

أندريه: أ.. أليس من الأفضل أن تعطي "كوركيس" طلبه؟ لقد مزقت أوصال قلبي بحالك تلك

ابتسم "زيناس" بوجه محترق: إ.. إن ما.. يطلبه "كوركيس" مسـ.. مستحيل..

رفع "أندريه" حاجبيه من تحت خوذته الثقيلة: مستحيل؟ هل هناك ما تعجز عنه؟ أنت ساحر بن ساحر مختار من الآلهة

رفع "زيناس" عينيه الذابلتين: عندما تطلب الحياة فهو الهلاك بعينه

حكّ "أندريه" خوذته غير فاهم: الحياة؟

"زيناس": طـ.. طلب مـ.. منّي أن أحيي "سـ.. ساندرا" مجددا

أندريه: أها، إذا تلك اللعوب الـ..

ثم ساد الصمت للحظات يحاول فيها "زيناس" أن يدرك ما يجري حوله بأذنين لا تسمعان "أندريه" الذي كان يتحدّث جواره.. ولكنّ عيناه أدركت ما حدث..

لقد عاش "أندريه" النحيل بحظ عاثر دومًا لم ينفكّ عنه ولو للحظة.. حتى عندما سبّ "ساندرا"، كان "كوركيس" يقف خلفه مباشرة..

أرقد في سلام يا "أندريه" وليحرص من يحملك أن يضع رأسك مع باقي جسدك..

حقاً؟

كل ما احتاجه "كوركيس" هو حركة واحدة بقبضته لفصل رقبة "أندريه" عن جسده النحيل؟!!

إن مثل هذا لهو ما يعجز حتى الساحر عن فعله..

نظر "كوركيس" بذات الغضب إلى "زيناس" قائلاً: لن يعجزني جيش "فيليب المقدوني" عن سحق جمجمته هو وولده كما لن تعجزني آلهتك عن سحق جمجمتك أنت وطفلك..

ارتبك "زيناس" لما سمع ذلك التهديد للمرة الأولى من "كوركيس".. طفله، هو نقطة ضعفه الوحيدة.. بل نقطة ضعف أسلافه من السحرة إذ أن لكل ساحر يولد طفلا واحدا فقط.. ولو مات مقتولاً، فهذا يعني ميلاد طفل آخر له نفس الشكل بالضبط ولكنّه ملعون..

"زيناس" مرتبكاً: لـ.. لا أرجوك.. إلا الطفل.. أرجوك

قال "كوركيس" غير مبالٍ: سأزينّ ثلاثة أركان في "خايرونيا" عندما أعود، أحدهما بطفلك والآخران بـ"الإسكندر" ووالده . ثم أشاح وجهه بعيدا- أعود فأجد "ساندرا"..

ثم تلاشى خلف غبار الجيش الزاحف..

تلاشى ولم يجد "زيناس" بدٌّ من الترحال مجددا..

رحل بطفله من ذلك الزمان لزمان آخر، لبلد آخر وأناس آخرين..

رحل ليبدأ حياة جديدة وينج بطفله.. فهو لا يريد أن يكون آخر ساحر ذي سبّابة يسرى مثقوبة.. ولا يريد أن يولد له طفل ملعون بسبّابة يمنى مثقوبة..

أما "كوركيس"، فهو لم يفتقد "ساندرا" بعد ذلك، لأنه لم يعد من الحرب..

فقد زيّن "الإسكندر" أحد أركان "خايرونيا" برأس "كوركيس")..

دخلت أمّي تحمل فنجانين من القهوة لي ولجدّي وهي تهمس في أذني: ذات القصّة؟ الساحر وكولكيس؟

قلت في ملل: "كوركيس" يا أمي، شكرًا على القهوة

قالت أمي في شفقة: هل تظن أن جدّك قد فقد عقله أم أنها أمراض الشيخوخة؟ منذ مات أبوك وهو يقصّ تلك القصّة العجيبة..

ثم دار حوار هامس بيني وبين أمي

قلت: ومنذ مات أبي وأنت تظنّين أنه لا يسمعك من هذه المسافة القصيرة..

: هل تعلم أنه كان يحاول أن يقنع والدك أن الثقب الموروث في سبّابتكم اليسرى هو تأكيد لأنكم من سلالة "زينات"؟

: زينات؟

: نعم، ساحر القبيلة

: "زيناس" يا أمّي.. وماذا في ذلك؟ دعيه يقص ما يشاء حتى لو ادّعى أنه "كوركيس" نفسه.. إنه يحبّ القصّ والقصص كما تعلمين.. وإذا سمحتي لي بدعوتك إلى سماع القصة مجدّدًا لأنها باتت ضبابًا في ذاكرتك..

: ولم علي أن أستمع إلى قصّة تقول إن علامة تحليل السكر في أصابعكم هذه هي شيء من السحر؟

: وهل نرث علامة تحليل السكر في أصابعنا؟

تلاشى اهتمامها فورًا عندما لاحظت عنكبوتًا كبيرًا –بالنسبة لها- يتدلي من بين الكتب فصرخت وقفزت وركضت في آن واحد ثم اختفت بحجّة أنها ستباشر أعمال المنزل بعد أن اطمأنّت أن جدّي لا يزال يسمعها عن بعد.. ولكنه لم يغضب منها قطّ.. ليس فقط لأنها زوجة ابنه المتوفّى ولكن، لأنها تمثّل له ابنته البارّة التي لم ينجبها.. فلم يكن لجدّي أبناء سوى والدي رحمه الله-..

وما أن انصرفت أمّي حتى ترك جدّي تلك التحفة من يده وقال لي: اجلس يا "عميرة"

قلت في مزاح: "يا عميرة"؟ إذًا فالأمر خطير إذاً..

قال لي بصوت خفيض: ألم تلاحظ أي شيء غريب في هذه القصّة؟

فأردف لما رأى الحيرة في عينيّ: هذه قصّة أسلافك وجذورك يا"عميرة"..

ثم اعتدل في جلسته وقد اختفت رجفة الشيخوخة من صوته تماما: اسمعني جيدا، فقد يكون هذا آخر ما تسمعه منّي في حياتك كلها..

قال: إن الثقب في سبابتك اليسرى هو سلاح تستعمله إما لك أو عليك وعلى العالم من حولك..

نظرت لأصبعي غير مكترث: وكيف ذلك؟

: كلنا ولد بسحر مختلف لا يظهر إلا بعد الثلاثين من العمر.. فاحذر

تصنّعت الاهتمام بالأمر: لقد تخطّيت الثلاثين منذ عامين ولم يظهر شيء..

قال في جدّية وهو ينهض من مكانه: احذر.. فقط احذر..

ثم غادر الغرفة في هدوء ودلف إلى غرفته في هدوء وأسلم رأسه إلى وسادته في هدوء..

ثم أسلم روحه لخالقها في هدوء..

ورحل ذلك الرجل الطيب في هدوء، كما عاش بيننا في هدوء..

وفي هدوء، كان يحذّرني من مصيبة لم أدركها إلا بعد عام من وفاته..

"فوضى"

قررت بعد وداع أمي في مطار القاهرة أن أعود لبيت الأسرة الموجود في أطراف المدينة، لا لشيء إلا لقربه من المطار ولأنني أرجو ليلة من الهدوء والسكينة أنام فيها ملء جفوني..

حييت عم "زمباع" – خفير العزبة الصغيرة – وطلبت منه أن يحضر لي بعض الشطائر للعشاء وأن يكفّ ولو دقائق عن تعاطي السجائر المخدّرة التي أحالته حرباء صغيرة تمسك ببندقية كبيرة..

كان البيت نظيفًا كقطعة الجاتوه ولكن سلّة المهملات تئنّ وتشكو أطنان أعقاب السجائر فيها مما يخبر بمجهود خارق قام به عم "زمباع" في الموازنة بين التنظيف والتدخين..

قصدت الطابق العلويّ، تحديدًا غرفة المكتبة الفسيحة لأشاهد التلفاز وأنا أتناول الشطائر.. ولما تأخّر عم "زمباع" كعادته شرعت أنظر للمكتبة التي لم تمسّ كتبها من قبل.. كتب في التاريخ الأوروبيّ، كتب في الطبّ، في الجغرافيا، في الأحياء، الكيمياء..

ثم بدأت أتناول كتب الميثولوجيا واحدًا تلو الآخر وأنشرها على المكتب الواسع أمامي ناظرًا لها ترقد في عظمة وهيبة بجانب بعضها البعض.. ميثولوجيا عربية، سومرية، يونانية، صينية..

جلست وأنا أنظر لهم وأقلب صفحات هذا الكتاب وذاك حتى حضر عم "زمباع" أخيرًا معتذرًا عن تأخره لأنه كان يفعل أي شيء آخر غير أنه كان يدخّن ونسي أنني هنا من الأساس.. لدرجة أنه قد أقسم بأغلظ وأعظم الأيمان أنه لم يدخّن حتى بعدما أطفأ السيجارة في يدي عن طريق الخطأ وهو يناولني الشطائر..

أمرته بالانصراف بنبرة يائسة ثم نظرت لأثر السيجارة في يميني.. شكرًا لك يا عم "زمباع" الآن هناك ثقب في سبابتي اليمنى أيضًا بفضلك..

عدت إلى المكتب بثماني أصابع سليمة وسبّابتين مثقوبتين أقرأ في دهشة بالغة تلك الكتب التي وصف فيها جدّي مخلوقات الميثولوجيا وصفًا دقيقًا كأنه رآها..

جدّي..

هل كان جدّي يعاني صدمة لما فقد ولده فبدأ يتلو تلك القصة ويتلوها عليّ مراراً؟ أم..

من الصعب أن أصدّق بأن جدّي هو الساحر "زيناس" وانتقل في الزمن إلى هنا و..

هذا مستحيل التصديق ولا يرقى للمنطق بأي شكل كان..

أشعر الآن بشفقة أكبر على ذلك العقل الذي أبهر من حوله بعلمه وألّف كتبًا تعجّ بها المكتبة من خلفي، أن ينهار ويقنع نفسه بأنه ساحر ارتحل عبر الزمن لينقذ سلالته.. ثم نظرت لسبّابتي اليسرى مبتسماً.. هذه علامة الساحر إذاً؟ ومن المفترض أن لي قوة لا أعرفها؟.. ثم نظرت لسبابتي اليمنى قائلاً: لعل "زمباع" أجدادي قد أحرقهم بالسيجارة أيضا..

"زمباع" أجدادي؟..

جملة مريبة لا أجد لها تفسيرًا إلا أنني أريد أنام بعد شطائر الأسمنت تلك..

ارتديت منامتي الفضفاضة وأسلمت رأسي للوسادة أغوص في رمال النوم المتحرّكة وترقى إلى مسامعي سيمفونية الشيشة بين يدي عم "زمباع" في حديقة البيت..

متى ينام هذا الرجل؟ متى يأكل؟ متى يشرب؟.. لقد عهدته يدخّن فقط منذ سنوات ويسعل..

أحيانًا يخيّل إلي أن هذا الرجل يخاطب أقرانه في الجوار بالدخان كما يفعل أفراد الكشافة بالنار في رحلاتهم.. أو أنه يحاول أن يصنع ثقبًا خاصًا به في طبقة الأوزون..

فليفعل عم "زمباع" ما يشاء وليخفي العالم خلف دخانه، المهم هو ألا يطفئ السيجارة فيّ مرة أخرى..

...

تذكرت فورًا أن النظارة في جيب المنامة فارتديتها لأنظر في ذهول إلى هذا المشهد الـ.. العجيب! الشاذ!.. لا أدري ولكن وجود امرأة ناشرة جناحيها وتمسك سيفًا لهو أمر جديد بالكليّة..

لقد قرأت في الصحيفة مرة عن قطة بجناحين، أما امرأة بجناحين؟..

هذا غريب!!

وليتها تقف وحيدة في الهو.. ولكنها توجه سيفها تجاه شاب أسود ضخم الجثّة يقف لها في تحدٍ واضح..

فما كان مني إلا أن صحت في عصبية: من أنتما؟ لصوص؟ مجنحين؟ مـ.. من أنتما؟

نظر لي الشاب في عصبية ثم نطق شاربه الكثّ بصوت رخيم غاضب: بل أخبرني من أنت وإلا سأذيقك طعم سيفي هذا..

خفضت الفتاة سيفها وهي تنظر لنا في شكّ: إذا لم نكن نعرف بعضنا فأرجو أن نخفض الأسلحة لنتكلم..

أشار لها بطرف سيفه: اصمتي أيتها المسخ..

صاحت فيه بعصبية: أنا لست مسخًا واهدأ قليلًا حتى نعرف أين نحن..

قلت له في توتر: أجد كلامها منطقيًا يا.. يا رجل.. اخفض سلاحك ولنتحدث

جال بعينيه شديدتا البياض بيننا ثم خفض سلاحه قائلاً: أحذركما من أي غدر..

نزلت الدرج وساعداني في وضع ما يصلح للجلوس عليه من بقايا المقاعد المهشّمة ثم نظرنا لبعضنا البعض..

قلت: أ.. أنا "عميرة" صاحب هذا البيت –ثم نظرت حولي- صاحب ما تبقى من هذا البيت وأرجو أن أعرف من أنتما بعدما دخلتما بيتي دون استئذان.. لا تبدوان لصّين.. و.. لا أقصد إساءة ولكن هل هذان جناحان حقيقيان يا آنسة؟

نظرت لي مليًا ثم قالت: أنا "آرتميس".. ولو لم تكن تعرفني فأنا أحد آلهة الـ..

ضرب الرجل كفًا بكف قائلاً: أستغفر الله العظيم.. وتدّعين أنك إلهة أيضاً؟ -ثم نظر لي- هذه فتاة مختلّة

قالت له في هدوء غير مبالية بما يقول: وأنت؟

قال في عزة: "سلامة الهلالي".. "أبوزيد" فارس العرب

شرعت أنظر لهما وأنا آكل شفتي من فرط توتري وارتباكي إذ أرجو أن تكون هذه "كاميرا خفية" أو برنامج ما للمقالب الرمضانية فهذا هو المنجى الوحيد لي والملجأ من أن أصدق بأن هذين الشخصان حقيقيان ويجلسان أمامي..

نظرت لـ"سلامة" قائلاً: أ.. هل هذا برنامج "الكاميرا الخفية"؟ لأن أعصابي خفيفة وأحذركم من مقاضاتكم فبيتي مليء بالكاميرات –التي أرجو أنها تعمل أصلاً- وكل شيء مسجّل بالصوت والصورة

نظرا لي غير فاهمين ما أقول..

اللعنة، هذا لا يمكن أن يكون حقيقيًا أبداً..

ثم سألت: أ.. ألم تلحظا وجود خفير بالخارج؟ شخص قصير ونحيل يرتدي جلبابًا بنيًا وعمامة؟ نعم.. ويدخن

قال "سلامة": لقد رأيت بندقية ملقاة بالخارج

قلت في ارتباك: ألم يكن في نهايتها رجل؟ أ.. أو جلباب إذا لم تلحظ أن بداخلها إنسانًا ما؟

قالت "آرتميس": رأيته يركض هاربًا أمام الباقين

وقفت وقد انتصب شعر رأسي: الباقين؟ أي باقين؟

قالت بنظرة حائرة: لقد كنا كثيرين هنا.. هرب الجميع ولم يبق سوانا..

شرعت أنظر حولي كمن يفقد عقله: سواكما؟ باقين؟ ماذا يحدث هنا بالضبط؟

ثم ركضت خارج باب البيت لأرى آخر شيء قد أفكر فيه في هذه المنطقة النائية الهادئة.. العزبة كلها –تقريباً- محطّمة.. هذه ليست "الكاميرا الخفية" وقد حان الوقت لأصدّق هذين الشخصين ولو بشكل مؤقت حتى أفهم ما يحدث..

التفتّ فوجدتهما خلفي ينظران لي بنظرة غير التي رأيتها داخل البيت.. هما حتمًا الآن يشفقان على هذا الشخص الذي ينظر لعالمه المحطّم من خلف نظارته.. وأرى هذا في نظرتهما إلى بعضهما..

كنا سندلف للداخل لولا أنني سمعت صوتًا يصدر من الفناء الخلفي..

"لا يوجد في الفناء الخلفي سوى أعشاش الدجاج" قلتها وأنا أركض إلى هناك راجيًا من الله ألا يتحول الدجاج إلى طيور الرخّ والعنقاء..

وليتني وجدت طيور الرخّ والعنقاء فعلاً..

هذا ظهر رجل عملاق عار يجلس أمام الأعشاش يمضغ شيئًا ما..

بالضبط..

كان الـ"شيئًا ما" هو كل الدجاج الموجود هناك..

التفت لنا هذا العملاق ذو العين الواحدة ببطء شديد ثم نهض كالجبل من مكانه..

أربعة أمتار تفصلنا عن كتف كتلة العضلات المهيبة تلك.. وكأنني أرى كابوسًا مجسّما بعين واحدة وجسد عار..

حينها أدركت أي خطأ ارتكبته عندما قررت أن أطمئنّ على الدجاج.. ولماذا أطمئنَّ عليه؟ لا أدري.. ولكنني عرفت أن الغباء الذي يسوق الجميع في أفلام الرعب إلى حتفهم هو حقيقي ولا شكّ فيه..

خفضت "آرتميس" سيفها وأمالت رأسها للعملاق: "بوليفيموس"؟ أنت "بوليفيموس"؟

نظر لها "أبوزيد" في استنكار: أتعرفين هذا المخلوق أيضاً؟

هزّت رأسها أن "نعم" ثم قالت: هو بن "زيوس" كبير آلهة الـ..

ألقى "أبو زيد" السيف من يديه وضرب كفًّا بكفّ: أستغفر الله العظيم.. أيضاً؟ ستقولين آلهة مجدداً؟

لم أكن في حال جيدة كي أفهم ما يحدث بالضبط فضلًا على أن أفسّر قصة الآلهة تلك لـ"أبوزيد" المتذمّر خلفي..

ثم انتبه ثلاثتنا لما تنفّس "بوليفيموس" وأعلن أنه يريد أن يتحدّث هنا.. فارتجفت أوصالي وكدت أرجوه ألا يتناولني مع الدجاج على الأقل..

فقال بصوت كأنه يخرج من كهف عميق: لقد كنت جائعاً، المعذرة..

...

تشرق الشمس خفيفة في تلك المنطقة..

وتهب الرياح رقيقة على جناحيّ "آرتميس" وشارب "أبوزيد"..

وحتى على "بوليفيموس" الذي اضطررت أن أحيك له ملاءات السرير في شكل جلباب يستره للآن على الأقل..

ثم بدأ الحديث حول أكواب الشاي..

قلت: هلا تخبراني من كان هنا بالضبط؟

"أبوزيد": كان هناك عشرة أشخاص من المغول يشبهون بعضهم بشكل مخيف

"آرتميس": تقصد صينيين.. كانوا عشرة صينيين سوياً

نظر لها "أبوزيد" شزرًا ثم أردف: وفارس ذو شعر أسود مجعّد ولحية وشارب كثّين..

ثم فكّر مليًا وقال: اه تذكّرت وبضع وأربعين مغوليًا يختلفون عن العشرة الأوائل في هيئتهم ولباسهم

"آرتميس": كانو سبعة وأربعين شخصًا يابانيا

نظر لها "أبو زيد" في حنق ثم أردف: هففف، وعملاق عار الجذع يحمل فأسًا يجول به في هدوء وهو أول من اختفى

قلت في توتر: عملاق؟ واختفى؟

"آرتميس": نعم .. "خارون"

تناول "أبو زيد" كوب الشاي قائلاً: فلتستمع إذًا إلى تلك الفتاة فيبدو أنها تعرف هذا السيرك أكثر منّي..

كنت أسمع ما أسمعه وأنا غير مصدّق لما يقصّانه عليّ.. سبعة وأربعين وشخص وعشرة صينيين وعملاق؟ اثنان وستّون شخصًا قد ظهروا فجأة في بيتي؟

هنا سمعت صوتًا يخرج من الظلام: ثلاثة وستّون.. لو كنت تجمع العدد..

...

التفت ببطء لمصدر الصوت..

فتاة جميلة الملامح هي، إذا ما تغاضينا عن شعرها الذي يصدر فحيح الأفاعي وعينيها الحمراوتين تماماً.. وكذلك إذا تغاضينا عن أنها نصف ثعبان ونصف إنسان..

استلّ "أبوزيد" سيفه في غضب قائلاً: أعوذ بالله، ألن تنتهي هذه الليلة التي تعج بالشياطين؟

قالت "آرتميس" في تعجّب: "ثينو"؟

نظر لها "أبو زيد" في غير فهم فقلت له: اضرب كفك بكفك الآخر وقل أستغفر الله العظيم فهذه أخت "ميدوسا" التي تزوجت إله البحار..

أغمد "أبو زيد" سيفه وعقد ذراعيه على عضلاته وقال: أرى أن نبحث الأمر بهدوء فماذا بعد هذا!!! تنّين!!!

نظرت لي "ثينو" وقالت: "تزوجت"! شكرًا على تلطيف المعنى .. أيدري أحدكم ما يجري هنا؟

قال "بوليفيموس" في حيرة: كلنا يسأل ذات السؤال.. إنني لا أذكر حتى أين كنت قبل أن آتي إلى هنا..

"أبو زيد": ولا أنا

"آرتميس": ولا أنا أذكر أيضاً

قلت في كبرياء: أنا أذكر أين كنت..

"أبو زيد" مقاطعاً: ألست صاحب البيت؟

قلت محاولًا تجاهل الإحراج: إحم.. حسناً، هل ظهرتم جميعًا دفعة واحدة؟

"ثينو": لم أر أحدًا يظهر بعدي

"آرتميس": لا أظن أحدنا سبق الآخر

"أبو زيد": بل هناك من سبق الجميع.. لقد رأيتُ الجميع يظهر.. ولتعلم أننا لم نظهر جميعًا في البهو..

"آرتميس": إذاً؟

أشار إلى غرفة المكتبة المواجهة للدرج في الطابق الأول: خرج الجميع من هناك كما خرجت أنا..

سادت لحظة من الصمت بيننا ثم قالت "ثينو": هل نحن آخر من بقي أم أن هناك آخرين يختبئون هنا؟

قلت في اندفاع: فليبحث الجميع عن أي شخص آخر فقد نجد التفسير هنا أو هناك..

ثم قلت لـ" أبو زيد" تعال معي إلى المكتبة فقد نجد شيئًا مفيداً..

ألقيت بجسدي المنهك على الأريكة في حين أسند "أبو زيد" خده إلى قبضته على كرسيّ المكتب وهو ينظر في الكتب المنشورة أمامه ثم قال: هل كنت تقرأ كل هذه الكتب دفعة واحدة؟

قلت وأنا أنظر للسقف: لا ولكنّني كنت أنتقي بعض الصفحات الهامّة..

التقط أحد الكتب وقال: هذا اسمي؟ هذا أنا في كتاب اسمه.. "ثقّف طفلك"؟ حقاً؟ ومن المجرم الذي رسمني بتلك البشاعة؟

قلت: لا لا هذا كتاب صغير كان موضوع بالخطأ.. إنك مذكور في كتاب تحته اسمه "ميثولوجيا عربية"..

التفت إلى المكتبة ثم إلى الكتب قائلاً: هل تظنّه موضوعًا بالخطأ؟

ضربت كفا بكف وقلت: أستغفر الله العظيم، كتاب أطفال موضو...

قاطعني قائلاً: ليس هذا ما أقصده يا خفيف الظلّ.. من قد يضع كتابًا تافهًا كهذا بين هذه الأساطير؟

استرعت انتباهي ملحوظته فنهضت من مكاني ألتقط هذا الكتاب: عندك حقّ كيف يوضع هذا الـ..

ثم ناولني بطاقة بيضاء وهو يقول: لقد سقطت هذه منه

قلّبتها في يدي فهي بطاقة بيضاء إلا من اسم مكتوب بلغة ما وأدناه رقم هاتف ولا شيء آخر..

قلت كأنما أحدث نفسي: ما هذا؟

نهض "أبو زيد" من مكانه متثاقلاً: لا أدري ولكنني أشعر أنه يتعلّق بما يحدث..

دخلت "آرتميس" وهي تقول: لا شيء، لم أجد أحدًا آخر

ثم نظر "بوليفيموس" من مكانه – فهو يرانا بوضوح من الهو: لم أجد أحدًا بالخارج سوى هذا – رفع يده التي تمسك بـ..

قلت في دهشة: عم "زمباع"؟ أين كنت؟ أنزله إنه معي

قال عم "زمباع" وهو يحاول أن يتمالك رباطة جأشه: هـ.. هل البيت مسكون طوال تلك المدّة ولم تخبروني؟

قلت: تمالك نفسك قليلًا لماذا تقول هذا؟

نظر حوله ثم نظر لي وكأنني مجنون: لـ.. لقد شاهدت فيلمًا منذ أيام عن بيت تخرج منه الوحوش من كتاب وتعيث في الأرض فساداً.. أ.. أرجوك أخبرني أن هذا هو تصوير الجزء الثاني

قال "أبو زيد": نعم هو ما تقول، ونعتذر أننا لم نخبرك مسبّقًا بترتيباتنا السريّة مع "عميرة".. اغفر لنا هذا – ثم التفت لي- اسمح لهذا الرجل النحيل أن يحصل على بعض الراحة على الأقل لبضعة أيام..

همست لـ "أبو زيد": هل تعرف معنى الفيلم وتصوير الجزء الثاني؟

"أبو زيد" هامساً: لم أفهم حرفاً

قلت: خذ إجازة يا عم "زمباع" مدفوعة الأجر ومفتوحة حتى ينتهي السادة من عملهم هنا..

قال وهو يهم بالانصراف: شـ. شكرًا لك

ثم تصنّع التمتمة وهو قاصد أن يسمع الجميع ما يقول: اللعنة على السينما وهذا العمل الذي سيودي بحياتي يومًا ما..

ثم أردف يسبّ ويلعن حتى اختفى بعيدًا وهو يدخّن كمدخنة المناطق الصناعية..

قلت: إذا، لدينا ثلاثة وستّون شخصًا ظهروا فجأة وبطاقة بيضاء عليها رقم هـ.

قاطعتنا "ثينو" قائلة: أربعة وستّون..

...

خرجت من خلف "ثينو" طفلة مذعورة بضفيرتين صغيرتين وفستان بريء، تحمل أرنبًا محشوًّا بين ذراعيها وتبكي بين دهشة الجميع..

موقف عجيب هو عندما تتوقع يثير هلعك ظهور طفلة صغيرة من العدم أكثر من الوحوش الضارية..

اقتربت مني وهي تبكي فدنوت منها: مـ. من أنت؟.. من أين أتيت؟

نظرت لي بعينين تملؤهما البراءة: لا أدري.. أنا تائهة

عقد "أبو زيد" ذراعيه خلف ظهره قائلاً: هذا ما ينقصنا.. طفلة تائهة..

"بوليفيموس": ومرعوبة..

دنت "آرتميس" من الطفلة قائلة: نحن نمثل فيلمًا فلا تجزعي.. هل شاهدتي فيلم الوحوش التي تخرج من الكتاب؟

هزّت الطفلة رأسها في توتر بالموافقة فأردفت: هذا هو الجزء الثاني منه..

قال "أبو زيد" مستهزئا: فلنضع لافتة بهذه الجملة خارج البيت.. يبدو أنها تطمئن قومك كثيرا..

قلت للطفلة: كيف جئت إلى هنا؟

قالت وقد اطمأنّت كثيراً: لا أدري

جلست على كرسيّ المكتب أنظر لـ "ثينو" الجالسة على الأريكة، "آرتميس" التي تشبّك بين أصابعها على الكرسي المقابل لي، الطفلة التي تقف بجوار "أبوزيد" تنظر له في تعجب أكثر من "بوليفيموس" نفسه.. بينما يقف "بوليفيموس" مستندًا إلى درابزين الدرج بالخارج وهو ينظر لنا بعينه الواحدة..

قالت الطفلة: من أنت؟

قال "أبو زيد" في فتور: "أبو زيد"

قالت: لماذا؟

"أبو زيد": لماذا؟

الطفلة: لماذا أبو زيت؟

نظر لي صامتًا فتنحنحت: "أبو زيد" يا.. ما اسمك أيتها الطفلة؟

مطّت شفتها في غير علم لتزيد الطين بلّة فوق رأسي.. "كم سنّك؟" سألتها "ثينو"، فأشارت بخمسة أصابع بيدها اليسرى..

ثم دنت الطفلة من المكتب وهي تنظر لي في براءة وسألتني: وأنت.. ما اسمك؟

قلت في ودّ: "عميرة".. ناديني "عميرة"..

قالت بهمس: "كايميرا"؟

قال "أبو زيد": لا تملك هذه الفتاة حسًّا للدعابة..

قلت له: لا بأس هي طف..

قاطعتني قائلة: "كايميرا".. أنت "كايميرا"..

ثم اختفت وكأنّك نفثت دخانًا ملونًا في الهواء..

تجمّدت الدماء في عروقي وشرع الجميع ينظر لي في غير فهم..

زاد التوتر في لحظة اختفاء تلك الطفلة المريبة بعد أن ألقت كلماتها في وجهي تاركة إياي في حيرة من أمري..

قطع الصمت صوت الهاتف فتناولته وأنا أشير بيدي إلى الجميع بالهدوء والصمت..

: ألو، "عميرة" كيف حالك؟ أحدثك من بيت خالك الآن.. لقد وصلت بالسلامة

: حـ.. حمداً لله على سلامتك يا أمي كيف حالك؟ هل أنت بخير؟

: نعم، لا تقلق.. أخبرني عن حالك..

: أنا بخير وأحظى بضيوف هنا.. بعض الأصدقاء..

ثم أردفت قائلاً: أمّي، هل تعرفين أي شيء عن صندوق أو كتاب أو أشياء من هذا القبيل كان يخبئها جدّي هنا في العزبة أو أبي قبل وفاته؟..

فكّرت قليلًا ثم قالت: لا أعتقد – ثم نادت بصوتها على خالي – "صدّيق"، هل تذكر أي شيء كان يخبئه الحاج "زين" في بيت العزبة؟ لا؟ "زينب" هل تذكر..

: حسنًا يا أمي حسنًا لا بأس، كما تعلمين هو فراغ لا أكثر..

: "عميرة"، هل أنت معي

: نعم يا أمي

: لي طلب يا بنيّ وأرجو ألا أثقل عليك فيه

: طبعًا يا أمي

: أطعم الدجاج في الفناء الخلفيّ ودع عم "زمباع" ينظّف المكان..

نظرت لـ "بوليفيموس" قائلاً: لقد أطعمتهم بالفعل لا تقلقي..

...

لاشيء.. أمي لا تعرف شيئًا قد يفيدنا هنا.. ماذا أفعل مع تلك الكوارث التي أمامي؟ إذا ما استثنيت الطفلة التي اختفت..

أفقت على صوت "آرتميس": ما كان هذا؟

قلت وأنا ألقي الهاتف: هاتف، أمي.. كنت أكلم أمي عن طريق الهاتف.. تعرفين! جهاز تضغطين به أرقامًا تصلك بشخص آخر في مكان آخر..

"ثينو": وزمان آخر؟

هززت رأسي: لا، فقط مكان آخر.. الانتقال بالزمان ليس منطقيًا – ثم أطرقت برأسي – على الأقل ليس لجدي –رحمه الله-..

"أبو زيد": هل يصلح هذا الشيء لضغط الأرقام الموجودة على البطاقة البيضاء؟

هززت رأسي وبدأت الاتصال بالفعل ولكنني لم أحصل على ردّ..

الانتظار إذا..

الانتظار..

...

مساء ذلك اليوم افتقدت "بوليفيموس" فقالوا لي أنه يتمشى بالخارج لما سألت عنه.. فالبيت مهما تكن مساحته، فهو ضيق ولا يسع شخصًا طوله يرقى إلى الخمسة أمتار..

جلست إلى "آرتميس" سائلاً: هل وجدت أي تفسير لما نحن فيه؟

"آرتميس": أشمّ رائحة السحر في كل ما يحدث.. هل أنت ساحر؟

تنهّدت قائلاً: أظنني أصدق الآن أن جدّي كان أحدهم..

"آرتميس": جدّك؟

: نعم، كان يخبرني دومًا أنه ساحر تنقّل عبر الأزمان ليحمي طفله وأن عائلتنا مشهورة بسبابتها اليسرى المثقوبة مثل هذه –ورفعت سبابتي لترى الثقب مكان بصمة الإصبع-

أمسكت "آرتميس" بيميني قائلة: وهذا؟

: لا، هذا ثقب عم "زمباع"، هو دومًا ما يحب أن يترك علامة في أفراد أسرتنا ليعرفنا بها..

ضغطت "آرتميس" على الثقب قائلة: هو مماثل للأيسر في رأيي.. دقيق هو ذلك الرجل في حرقك بالسيجارة..

: عم "زمباع" فنان لم يجد فرصته.. وأرجو ألا يجدها حفاظًا على العالم..

أطل "أبو زيد" من المكتبة قائلاً: هذا الشيء يصدر ضوضاء ويرقص فوق المكتب.. أو يبكي تقريباً! هل هذا طبيعي؟

هرعت إلى الهاتف وأجبت: ألو!

: ألو! معذرة.. لقد اتصل بي هذا الرقم منذ ساعات وأعتذر عن..

قاطعتها في لهفة: لقد وجدت بطاقة بهذا الرقم فوق مكتبي وأرجو أن أقابلك.. أ.. أنا حفيد "زين" الحاج "زين"

جاء الصوت في الناحية الأخرى هادئاً: "زين"؟ تقصد "زيناس"؟.. احضر إلى مكتبي فوراً..

...

هبطت الدرج ركضًا وأنا أقول لهم: اسمعوني جيداً، سأذهب لأقابل صاحبة البطاقة البيضاء.. أرجو منكم إغلاق البيت حتى أعود وألا تعبثوا بشيء إطلاقاً.. و.. أين "ثينو"؟

لاح لي "بوليفيموس" من بعيد يمسك بشجرة فوق كتفه ويغنّي فناديته ليدخل وأن يكفّ عن اقتلاع ما بقي من الشجر.. وظللنا نتساءل حول "ثينو" حتى بدأت أتوتر: أهذا وقت تختفي فيه "ثينو"؟

ثم فوجئنا بها تظهر من بين الظلام الدامس بالخارج معتذرة ولكنها تحمل خبرًا ما..

"أبو زيد": لاتخبرينا أننا خمسة وستون، فكلما اختفيتِ تعودين لتزيدي الأرقام..

"ثينو" بذات الهدوء الذي لم يبارحها منذ ظهرت: إلى أين أنت ذاهب يا "عميرة"؟

قلت: صاحبة البطاقة البيضاء تنتظرني، سأذهب إليها الآن وأرجوكم أن تبقوا هادئين قدر الإمكان ولا تختفي أرجوك.. "آرتميس"! لا تذكري الآلهة أمام "أبو زيد".. "أبو زيد"! لا ت..

"أبوزيد" مقاطعًا في سخرية: سأجلس في المكتبة أقرأ "ثقّف طفلك"

"بوليفيموس": هل تأذنون لي بالحديث؟ لماذا لا يذهب معك "أبو زيد"؟ لا أقصد إهانة ولكنني أظنّه أقرب الشبه إلى قومك..

نظر "أبو زيد" في إعجاب لـ "بوليفيموس" قائلاً: كلام سليم.. ولكن كيف سأخرج بدرعي هذا؟

تنهّدت ثم استدرت لأحضر له بعضًا من ثيابي.. ولأول مرة أجد فائدة لزيادة وزني في الفترة الأخيرة إذ أن الملابس التي اخترتها له تناسبه ببعض التحايل على الطول بثني البنطلون والأكمام..

وقبل خروجنا سويًا استوقفتني "ثينو" قائلة: لقد وجدت شيئًا مريبًا في حديقتك الواسعة تلك..

نظرت لـ"أبو زيد" متعجباً: و.. وما هو؟

"ثينو": كان هناك قبر تحت الشجرة التي اقتلعها "بوليفيموس"..

"هي ووت"

لم أكن أتخيّل أن أر هذا الفارس العظيم يرتدي قميصًا أبيض مرسوم عليه شخصية الأرنب الكرتونيّ الشهير.. أرجو ألا ينتقدني التاريخ وألا يحكم علي المتعصّبون للميثولوجيا العربية، فهذا ما وجدته في خزانتي ملائمًا له..

وصلنا بالسيارة بعدما قطعنا مئات الشوارع وبعدما أجبت على ملايين الأسئلة لهذا الرجل المتحمّس الجالس جواري.. وصعدنا في "العلبة المعدنية" –المصعد- كما وصفه إلى الطابق حيث صاحبة البطاقة..

وجدنا الباب مفتوحًا ثم دلفنا سويًا فوجدنا فتاة في العشرينيات من عمرها.. شديدة السمرة وعينيها زرقاوتين كماء المحيط.. يبدو عليها الودّ والجدّية معًا فتنحنحت قائلاً: "عميرة" حفيد الحاج "زين"..

كشف فمها عن أسنان شديدة البياض ورحّبت بنا أيما ترحاب ودعتنا للجلوس..

..

وقصصت عليها كل شيء..

بداية من قصة جدّي وحتى دخولنا من بابها..

..

لم تكفّ عن التدوين والكتابة كلّما لاحظت شيئًا هامًا –في رأيها- ثم قالت: إذا أنت "أبو زيد الهلاليّ"؟

هزّ "أبو زيد" رأسه.. فتنهّدت وهي تنظر للورقة بين يديها فسألتها: عذراً، ولكننا لا نعرف اسمك حتى الآن ولا هذه الرموز المطبوعة على البطاقة..

ابتسمت وقالت : هذا هو اسمي باللغة الأمهريّة.. "هي ووت".. نادني "هي ووت"..

"أبو زيد": وهل تصدّقين كل هذا الخرف الذي قاله لك "عميرة"؟

نظرت له في استنكار ثم لها: يقصد لماذا قد تصدقين ما يحدث ولماذا وجدت بطاقتك في مكتبة جدّي؟

"هي ووت": جاءني جدّك منذ أكثر من عام وقصّ عليّ ذات القصّة غير أنّه قد أخبرني شيئًا لا أظنّك تعرفه..

قلت: وأيّ شيء هو هذا؟

نهضت من مكانها وأحضرت ملفًّا مكتوبًا باللغة الأمهرية –كما أخبرتنا فيما بعد- وقالت: هذا هو ما أخبرني به جدّك كاملًا بعدما استأذنته أن أدوّن كل ما يقول..

وسأحكي لك باختصار ما يحتويه فأعرني سمعك جيّداً

...

"هي ووت": قال جدّك أنه بعدما نجا بابنه وحضر إلى القاهرة سمّى ابنه "خالد" تيمّنًا بإنقاذ السلالة وأنّها "خالدة" لن تنتهِ.. وكما تعرف أنت عن جدّك، أنه انخرط سريعًا في القاهرة كأيّ يونانيّ كان يحيا في تلك الفترة بالتجارة حتى استقرّت حياته وأنشأ ابنه نشأة قويمة وعلّمه من السحر الكثير لمّا بلغ الثلاثين من عمره.. وزوّجه فتاة طيبة كانت تسكن بالجوار ولكنّها توفّيت وهي تلد طفلها..

قاطعتها سائلاً: تزوّج أبي قبل أمي؟ لي أخ؟

أردفت "هي ووت": نعم، وما أن بلغ ذلك الولد الثلاثين من عمره حتى توفّي في حادث سيارة..

انتفضت واقفاً: مـ.. مـ.. ماذا تقصدين؟

أجلسني "أبو زيد": أكملي أرجوك

"هي ووت": تزوّج والدك من والدتك وأظهر السونار المبدأيّ أن هناك احتمالا أن تلد توأمًا بعد شهور من الزواج.. ثم فوجئ الطبيب بأن الموجود هو طفل واحد فقط وأنّه لا أثر للطفل الثاني حتى تمت الولادة بشكل طبيعي جدًا حتى أن جدّك اندهش من وجود ذات العلامة في سبّابتك اليسرى عوضًا عن وجودها في اليمنى.. فقد كان يتوقّع أن تلد زوجة ابنه الطفل الملعون بعد مقتل الابن الأول..

قلت وأنا أحاول أن أستجمع شتات أفكاري: هل هناك قانون يخبر بلزوم أن تلد المرأة ذاتها الطفلين؟

هزّت رأسها بالنفي وهي تنظر للأوراق بين يديها قائلة: لا أظن ذلك فالأمر يتعلّق بالأب وليس بالأم.. ولكنّه من العجيب أن..

ثم نظرت لي مليًّا واستطردت: أرني يمينك..

فمددتها لها، فقالت: إن سبّابتيك متماثلتان.. هل أنت أكيد أن السيجارة هي من صنعت هذا؟

هززت رأسي أن "نعم" ثم قلت: عم "زمباع"

قاطعنا "أبو زيد" قائلاً: أليست تلك الـ..

نظرنا سويًا فصحت: هي الطفلة.. نعم، تعالي هنا أين ذهبت وأين كنت ومن أنت و..

نهضت "هي ووت" في حنو بالغ تجاه الطفلة وسألتها: من أنت؟

الطفلة: تركاني في السيارة وصعدا فخفت أن أجلس وحيدة..

أجلستها على رجليها وقالت: ما اسمك؟ هل تحبين الحلوى؟

الطفلة: هو "كايميرا".. "كايميرا" وليس "عميرة"..

نظرت "هي ووت" لي ثم للفتاة: لماذا تقولين هذا؟

الطفلة: لقد أكل أخاه..

ثم أجهشت الطفلة بالبكاء فجأة حتى قال "أبو زيد": حسناً، سنخرج عمو الشرير الآن ونتحدث.. ما رأيك؟

فجأة سكتت..

وفجأة تلاشت كالمرة السابقة..

...

على الرغم ممّا حدث لي أصرّيت على أن أغطّ في نوم عميق على أريكة المكتبة في انتظار الصباح ليخبرني أنني كنت أحلم وأن الدجاج حيٌّ يُرزق خلف البيت..

...

عرفت بأنني لم أكن أحلم فور أن فتحت عيناي ووجدت "أبو زيد" يحدّق في المكتبة باهتمام بالغ ويلتقط كتبًا من هنا ومن هناك..

قلت بصوت ناعس: أي شيء بعد؟

"أبو زيد": هل استيقظت؟.. لا، ولكن هناك بعض الأشياء التي استوقفتني..

قلت وأنا أضع ذراعي فوق عيناي مللاً: قل ما عندك

"أبو زيد": كيف يتحدّث الجميع العربيّة هنا؟

رفعت ذراعي ونظرت له في اهتمام: صحيح! كيف يتحدثون العربيّة؟

"أبو زيد": أظنّ أن لهذا علاقة بما كنت تقرؤه تلك الليلة.. تعال، انظر معي هنا؟

نهضت ووضعت نظارتي على الفور فقال "أبو زيد": هذه ميثولوجيا صينيّة بها عشرة صينيين.. هذه ميثولوجيا يابانيّة بها سبعة وأربعون ساموراي.. هذه يونانيّة.. انظر! "آرتميس".. "خارون".. "بوليفيموس".. "ثينو".. "جلجامش".. وأنا.. أحمد الله أنني لم أخرج من كتاب الطفل بالفعل.. وما استوقفني هنا أنه ليس هناك أطفالاً.. فمن هذه الطفلة إذاً؟..

وقفنا نفكّر مليًا دون أن نحرّك شيئًا ما حتى دخلت "ثينو" بهدوء مريب قائلة بذات النبرة: لقد وضح النهار وتبيّنت ملامح القبر.. هلّا نذهب؟

ذهبنا جميعًا للقبر ووقفنا على طرفه غير عالمين بمن هو موجود تحته..

"أبو زيد": هل نبش القبور حلٌّ مقترح هنا؟ فأنا لا أؤيده على كل..

فجأة غاصت قبضة "بوليفيموس" في التربة لتخرج لنا جسدًا مسجّى ويضعه أمامنا..

نظر الجميع له في صدمة ألجمتنا..

هذا شخصٌ معروف للجميع هنا..

إنه بكل بساطة..

أنا..

...

سكت الجميع وظل ينظر بعضنا إلى بعض في ذهول غير فاهمين ما يعنيه هذا!..

"أبو زيد": سقف الكوارث مرتفع في هذا البيت..

مالت "ثينو" على ذلك الجسد ونظفّت سبّابته اليمنى فلم تجد أيّة علامة.. ثم نظرت لي وقالت: كلام الفتاة صحيح إذا..

"آرتميس": ما علاقتك بال"كايميرا"؟ وكيف تحملان نفس العلامة في السبّابة اليسرى؟

رن هاتفي فجأة فقال "أبو زيد": يبدو ممتعًا هذا الشيء في جيبك..

: ألو.. عميرة.. كيف حالك؟

: بخير يا أمي.. كيف هو الحال؟

: لا شيء ولكن لن تصدّق من قابلناه هنا..

: من يا أمي؟ عم "زمباع"؟

: لماذا عم "زمباع"؟ لا بالطبع وماذا سيفعل عم "زمباع" في "إسبانيا"؟

: ظننته قد هرب من البلاد بعد أن أحرق سبّابتي بالسيجارة..

:- شتائم كثيرة تفيد بأنه هالك لامحالة-، لا تخبرني أنها اليسرى، لقد ترك جدّك عقدة لديك في..

: لا يا أمّي، إنها اليمنى هذه المرّة وتركت ثقبًا مماثلًا للأخرى حتى أعيش بسبابتين متماثلتين

: يا إلهي، أصابعك محسودة يا "عميرة"

: أصابعي محسودة؟ حقاً؟ ومن هذا الذي يحقد على أصابعي؟

: لقد أفسد هذا الأحمق عملية التجميل التي أجراها الدكتور "عادل" منذ أن كنت طفلاً

قلت في اهتمام بالغ: انتظري، أخبريني عن ذلك..

: فُتحت سبّابتك اليمنى بشكل مشوّه وأنت طفل فأجرى لك الدكتور "عادل" عملية التجميل فأخفاها لك تماماً..

...

حقًا ما قال "أبو زيد"

(سقف الكوارث مرتفع)

...

جلسنا متحلّقين حول الجثة المسجاة أمامنا ننظر في صمت لمّا أخبرتهم بما قالته أمي..

"ثينو": هذا أخوك إذا.. ومن المفترض أنك تولد ملعونًا بسبابة يمنى مثقوبة.. ولكنّك ولدت بسبابتين مثقوبتين.. فإما أنك نصف ملعون وإما أن أحد الثقبين قد أفسد تأثير الآخر..

"آرتميس": أحب هذا التفسير

"أبو زيد": وأنا أيضاً

"بوليفيموس": أليست تلك الطفلة التي..

نظرت في ملل للطفلة وقلت لها: أرجوك لا تذهبي بعيدًا وابقي هنا إن..

قاطعتني الطفلة وهي تذرف دموعاً: إنهما قادمان..

"ثينو": من هما؟

أشارت خلفها وهي تبكي ثم أسقطت الأرنب المحشو من يدها وركضت بعيداً..

هممنا باللحاق بها فقالت "ثينو" بنبرتها الهادئة: اتركوها.. ستختفي وتعود.. لقد اختفت دميتها من على الأرض..

"أبو زيد": حسناً، أرى أن نعيد الـ.. أ.. "عميرة" هذا إلى قبره وندخل مع "عميرة" الحيّ إلى البيت..

قلت: انتظر لحظة حتى نعرف من القادمين!

"أبو زيد": لا أعرف بالضبط ولكنني أشم رائحة العنف من على بعد أميال..

"آرتميس": سأنتظر هنا لأنني لا أطمئنّ للدخول

"ثينو": سأدخل معك يا "عميرة"

"بوليفيموس": سأنتظر مع "آرتميس" فأنا غير مطمئنّ بالمرّة

"أبو زيد": وأنا سأدخل لأبدّل ثيابي.. فلو كان القادمان يطلبان العنف.. أفضّل ألا أقاتل وهذا الأرنب على صدري..

...

كنّا بالداخل عندما سمعنا صراخا وعنفا على حين غفلة.. فخرجنا ننظر، فإذا بـ" آرتميس" قد جرح وجهها و"بوليفيموس" قد جرح عاتقه وساعده..

"ماذا حدث؟" قلتها في ارتباك "لقد غبنا لدقائق فقط"

"بوليفيموس": إنه "خارون" ومعه فارس آخر

"أبو زيد": "جلجامش".. "خارون" و"جلجامش".. لماذا يهاجموننا؟

نظرت حولي: وأين ذهبا؟

"آرتميس": اختفيا فجأة من حولنا..

..

لما جنّ الليل جلست أفكّر في غرفة المكتبة وحولي "هي ووت"، "أبو زيد"، "آرتميس" و "ثينو".. ولا حاجة لأخبر أن "بوليفيموس" يحضر جميع الاجتماعات من البهو..

"أبو زيد": نحن في مركب واحدة رغمًا عنّا جميعا.. فلنحاول أن نجد حلًا لهذا الموقف العجيب قبل أن يتطور لأكثر من هذا..

وضعت "هي ووت" ساقًا فوق ساق وعقدت ذراعيها وهي تسأل: دعونا نبدأ من الأساس.. وأحب أن أبدأ بسؤال "أبو زيد".. كيف تتحدثون جميعًا العربية؟

نظر الجميع إلى بعضهم البعض يبحثون عن إجابة مناسبة لهذا السؤال.. فقال "أبو زيد": أظنّ أن للأمر علاقة بكون جميع ما ورد عنّا هنا مكتوب بالعربية؟

لمعت عينا "هي ووت" وهي تنظر إلى "أبو زيد": استنتاج رائع.. هذا هو أول خيط معنا..

قاطعها "أبو زيد" قائلاً: لا أظنّها معلومة ذات قيمة هنا فنحن بصدد هجوم آخر في أي وقت

"آرتميس": أرجوك لا تفسد استنتاجك الرائع بتعليق آخر من هذا النوع

"هي ووت": أظنّ أن لكل معلومة صغيرة كانت أو كبيرة، أهمية قصوى في حل جزء من الموقف الغير مفهوم هنا..

نظر "أبو زيد" إلى "آرتميس": هكذا يكون الرد – ثم تمتم – تفسد استنتاجك!

"ثينو": هل تقرأ دومًا بتلك الطريقة؟

نظر الجميع إليّ ونظرت لها متسائلاً: أية طريقة؟

"ثينو": تلك.. أن تضع أصبعك على السطور..

خفق قلبي لما أدركت ذلك.. فعلاً، لم ألحظ ذلك من قبل.. أنا أقرأ وأنا أشير بأصبعي إلى السطور..

فتارة أشير بسبابتي اليمنى..

وتارة أشير بسبابتي اليسرى..

"هي ووت": فلنضع المعطيات أمامنا إذاً.. أصبع ملعون وأصبع ساحر.. شخصيات مكتوبة بالعربيّة كلّها تتحدث العربية.. كل من قرأت عنه ظهر فجأة، فقط، عندما قرأت عنهم وحرّكت أصابعك عليهم.. أخبر جدّك عن قدرة مبهمة لكل ساحر من هذه السلالة..

"بوليفيموس": لقد كانا "خارون" و"جلجامش" بتحدّثان العربيّة أيضاً..

"هي ووت": هذا دليل داعم للنظرية المبدأية

"آرتميس": وهي؟

"هي ووت": قدرة "عميرة" على تحرير الكلمات الحبيسة في الأوراق لتظهر أمامه

قلت في فزع: أنا ساحر؟

"أبو زيد": هل هذا ما أفزعك؟

قلت: طبعاً.. إن هذا غير معقول لقد تخطّيت الثلاثين وليس هذا أول ما أقرؤه بتلك الطريقة..

"هي ووت": تفيد المعلومات بأن سنّ الثلاثين هي البداية فتوقّعها في أي وقت آخر..

حككت رأسي في استنكار: لا أعرف.. حقاً، لا أعرف.. هل هذه نظرية مقبولة؟

"ثينو": على الأقل هناك نظرية الآن..

"هي ووت": بالضبط –ثم أشارت لي بأن أتنحّى عن كرسي المكتب- دعني أرى الشخصيات مجدّدا..

ظلّت تنظر هنا وهناك وهي تقول: ظهر.. ظهرت.. ظهرو.. ظهرو.. ظهرت..

ثم قالت: وماذا عن هذه الكتب؟

قلت: كادت أن تسقط فأمسكتها ثم أسندتها على حالها..

"بوليفيموس": لم نعرف بعد، من هذه الطفلة؟

قلت: عندك حقّ.. أتمنّى ألا تظهر مرة أخرى فيكفينا رسائل مشفّرة..

"بوليفيموس": لقد سألت لأنها تقف خلفكم جميعًا هنا..

"أبو زيد" دون أن يلتفت: هل سأبدو عنيفًا إن ركلتها بعيداً؟

دخلت الطفلة إلى المكتبة وهي تقول: لماذا تتركوني وحدي دائماً؟

"هي ووت" في هدوء: ظننتك تختفين بإرادتكِ.. ابقي معي إذا أردتِ..

نظرت إليّ بعينيها الواسعتين: هل تسمح لي أن أبقى معها؟

نظر لي "أبو زيد": هل هذه ابنتك ونحن لا ندري؟

نظرت لـ "هي ووت" بعين قلقة: هل تسمحين بذهابها معك و"آرتميس"؟

"آرتميس": لامشكلة عندي..

...

كنت أجلس في البهو وحيدًا تاركًا "أبو زيد" يغطّ في نوم عميق بالأعلى.. و"بوليفيموس" في الحديقة ثم صنعت لنفسي كوبًا من القهوة أرشفه على مهل جنبًا إلى جنب مع سيمفونية "بيتهوفن" الخامسة المحببة إلى قلبي..

سمعت صوت "سثينو" من خلفي تقول: هل تأذن بالانضمام؟

قلت مرحبا: تفضلي طبعًا –ثم نظرت لها عن جواري وأردفت- لم أكن أحلم بأن أحتسي القهوة يومًا بجانب "ثينو" بنفسها..

نظرت بطرف عينها لي ثم قالت: ولم "ثينو" بنفسها؟ إن من حظيت بالصيت الذائع "ميدوسا".. حقّ لك أن تفخر باسمها لا باسمي..

وضعت القهوة جانبًا وقلت: كلنا يقرأ الأساطير ولكنّني أحب أن أسمع منك

مالت برأسها وكأنها تتذكّر شيئًا ثم قالت: (كنا ثلاث أخوات نمرح ونحب الحياة كما هي.. أنا الأخت الكبرى بالطبع و"ميدوسا" هي أصغرنا والمدلّلة فينا.. ولما كنا نعيش في كهف تحت جبل الأوليمب وتحيا الآلهة فوق رؤوسنا، لم يشعر أحدهم أبدًا بكل الأخطار التي نواجهها في مكان كهذا فنصبت نفسي المدافعة عنهما..

لبست ثوب القتال رغمًا عنّي ومن بعدي "يوريال".. ظللنا على هذا الحال لسنوات حتى نضجت "ميدوسا".. ولكنها كانت خيبة أمل لنا أن نراها مندفعة ولا تأبه لشيء..

تطلّعت "ميدوسا" لما هو أكبر من ثلاثتنا.. تطلّعت لجبل الأوليمب نفسه..

ظلّت على هذا الحال حتى وجدها "بوسايدن" صيدا ثمينا له.. فبنات "فوركيس" و"كيتو" هن الأجمل وقتها..

-تنهّدت "ثينو" ثم أردفت- اضطررت أن أقف أمام "بوسايدن" فإما أن يعترف بها زوجة وتصير إلهة فوق جبل الأوليمب أو سأشن أمامه حربًا بكل ما أوتيت..

في البداية، عارضت "يوريال" الفكرة برمّتها ولكنها لم تجد بدّا من مواجهته معا..

كانت حربًا قويةً بكل معان الكلمة..

ولكنّه كان قويًا وغاضبا..

فعاقب ثلاثتنا في النهاية بأن صرنا كما ترى – ثم ابتسمت في سخرية – وحتى أنّ "هيرمز" بن "زيوس" قد ساعد "بيرسيوس" البشريّ على قتل "ميدوسا".. ثم نصبوه بطلًا بقتله أصغرنا..

-ثم نظرت لي بعين دامعة- ومنذ هذا الوقت وأنا لا أحارب ولا أرفع سلاحًا في وجه أحد كان..

فالآلهة خائنة..

والبشر مدّعون..)

ثم انصرفت في هدوء كعادتها.. وبقيت دهشتي من عين كالجحيم تبكي بتلك الرقّة..

كان اليوم التالي هادئًا كفاية لأن أبحث و"بوليفيموس" في العزبة عن أي أثر لأي شيء آخر غير ذلك القبر الذي وجدوه بمحض الصدفة..

التفتّ إلي "بوليفيموس" مترددا: أ.. أعتذر عن التهام الدجاج ذلك اليوم..

أشحت بيدي: لا عليك، عندما يتضوّر أحدنا جوعًا فهو يلتهم الدجاج حيًا مثل الفيشار.. أفعل ذلك من حين لآخر..

"بوليفيموس" بجديّة: أعتذر إذا أفسدت وجبتك ذلك اليوم..

قلت له وأنا أخطو على شجر مهشّم: لا عليك، ولكن إذا أردت نصيحتي.. دوماً، ابدأ بالخفير..

"بوليفيموس": ولكن.. هـ.. هل ستعذرني إذا..

نظرت له في فزع: هل التهمت عم "زمباع"؟ إنه في إجازة..

"بوليفيموس": لا ولكن..

بدأ التوتر يسري داخلي من تردده الزائد: أخبرني ماذا حدث فسقف الكوارث مرتفع كما يقول "أبو زيد"

"بوليفيموس": كان هناك حيوان بنيّ اللون..

اللعنة..

لا ليست البقرة..

"بوليفيموس": أظنّها "بقرة"

ليته التهم عم "زمباع" بالفعل..

ستفقد أمّي صوابها إذا عرفت ما حلّ بحيواناتها هنا..

قلت في هدوء: انظر يا "بوليفيموس"، نحن هنا لنا قوانين مختلفة قليلًا عن عالمك الذي كنت تحيا فيه.. فكما ترى فإن أحجامنا صغيرة وكذلك الحيوانات المسكينة التي ترقد في سلام داخل معدتك.. واختفاء هذه الحيوانات قد يسبب مشكلة ما لا قبل لي بها.. فارجوك، أخبرني إذا أردت أن تتناول طعامًا أو إذا ما شعرت بالجوع.. ولا تلتهم شيئًا ولا أي كائن يتنفس حولنا.. اتفقنا..

"بوليفيموس": حسناً.. سأخبرك قبل أن أفعل أي شيء.. أعتذر عن..

نظرت له: لا أدري ما أقول ولكن، ألست تأكل لحوم البشر؟

نظر "بوليفيموس" في تعجب: لحوم البشر؟ لم قد أفعل هذا؟

قلت: لا أدري ولكننا نعرف هذا عنك..

"بوليفيموس": إذا كنت آكل لحوم البشر، فلم أربّي الخراف إذًا ولا أهاجم القرى وهو أسهل وأسرع!!!

قلت: وجهة نظر سديدة –ثم استأنفت خطواتي وسط الزرع المهشّم- ولماذا قتلت "آكيس" إذاً؟

حكّ "بوليفيموس" لحيته: من "آكيس" هذا؟

قلت: الخالد الذي سرق منك حبيبتك.. "جلاتيا" حورية البحار..

قال وهو ينظر بعيدًا في غير اهتمام: وكيف أقتل شخصًا خالداً؟.. "جلاتيا" لم تحبّني فتركتها وشأنها..

قلت في استنكار: ولعلّ "بيرسيوس" لم يفقأ عينك؟

"بوليفيموس": لقد أصابني إصابة بالغة وأنا أحاول أن أمنعه من الذهاب إلى "ثينو" و"يوريال" و"ميدوسا"

ثم ظهرت الطفلة..

قلت في نفاد صبر: هذا وقت مناسب للمصائب إذ أننا لا نجد ما نفعله كما ترين.. هلمّي يا صغيرتي أخبريني ما عندك..

نظرت لي الطفلة في غير فهم وقالت: أنا تائهة

نظرت إلى "بوليفيموس" ونظر "بوليفيموس" إلى الطفلة قائلاً: ألست مع "آرتميس"؟

الطفلة: من "آرتميس"؟

حككت رأسي حتى وصلت تقريبًا إلى قاع الجمجمة ثم قلت: هلّا تخبرينني من فضلك من أنت؟

بكت الطفلة بعينين بريئتين حقاً..

...

في ذات الوقت سمعت "أبو زيد" ينادي من البيت: الطفلة هنا..

...

وقفت بجانب "أبو زيد" و"ثينو" ننظر إلى الطفلتين..

هما ذات الطفلة بدون تغيير حتى في ذرات التراب على ملابسهما..

...

"أبو زيد": هنا يتوقّف عقلي قليلًا عن العمل.. ما هذا؟

كنا متوترين عدا "ثينو" التي اقتربت في هدوء منهما وهي تقول: ألستما مرتعبتان من مظهري؟

هزتا رأسيهما أن "لا" ثم قالت "ثينو": ولا من ذلك العملاق هناك؟

هزّتا رأسيهما أن "لا" ثم قالت "ثينو": وما رأيكما بالفارس و"الكايميرا" جواره؟

ضحك "أبو زيد" ونظر إلي قائلاً: كان الأفضل لك أن تخرج من "ثقّف طفلك" على أن تصبح "كايميرا"

قلت له: هل هذا وقت للضحك

"أبو زيد": أضحك أم أركلهما؟

أعادت "ثينو" السؤال عليهما فقالا: هذا الرجل شرير

اعتدلت "ثينو" وهي تسأل: أي رجل؟

فأشارتا إليّ دون تردد..

ثم اختفتا..

...

"أبو زيد": لا عجب أنني لا أحب الأطفال..

"ثينو": الأطفال لا تخافني إذا ما لاحظتما ذلك..

"أبو زيد": هذا ليس وقت المشاعر والأحاسيس يا سيدتي..

"ثينو": لا أقصد ما فهمت.. أقصد، أي نوع من الأطفال هذا الذي لا يخافني؟!!!

..

: ألو.. "عميرة"

: أمي، كيف حالك؟

: ماذا يحدث عندك؟

: ماذا يحدث عندي؟

: اتصلت بعم "زمباع" عن طريق الخطأ حتى ألومه عما فعله معك فأخبرني أنكم تصورون فيلمًا ما

: لاتتصلي بعم "زمباع" عن طريق الخطأ مجددًا لتلوميه يا أمي إنه شيء بسيط غير مقصود.. نعم، هناك فيلم يتم تصويره في الأنحاء ورأوا أن بيتنا هو أنسب مكان للبدء منه..

: على كلٍ، لقد قطعت أجازة "زمباع" وأخبرته ألا يتركك ولو للحظة.. لا تقلقني عليك يا "عميرة"

: حق لك أن تقلقي وهو بالقرب منّي.. لا أحتاج..

- انقطع الاتصال-

..

نظر "أبو زيد" مليًا إلى "ثينو" ثم قال: فيم تفكرين؟

"ثينو": في الطفلة

"بوليفيموس": تقصدين الأطفال؟

"ثينو": لا.. هي طفلة واحدة تتلاعب بنا..

ثم عقدت ذراعيها قائلاً: وأشكّ بأن هذه طفلة من الأساس

"طفلة مريبة"

لماذا انقطع التيار الكهربائي داخل البيت فجأة؟

لماذا وجدنا الكابلات مقطوعة؟

لا أعلم سوى أنني أجلس مع الجميع في الهو على ضوء بعض الشموع التي تسمح لنا أن نر بعضنا في وضوح..

"بوليفيموس": هل تسمعون هذا؟

"أبو زيد": هذا صوت امرأة تستغيث؟

قلت في تعجّب: امرأة؟ تستغيث هنا؟

"آرتميس": سأذهب و..

نهض "أبو زيد" وربّت على ظهر "بوليفيموس": تعال معي

...

"ثينو": لا أكنّ لكِ أية ضغائن

رفعت "آرتميس" رأسها وهي تقول: لو كنت أعلم ما فعله "بوسايدن" بكنّ لوقفت معكنّ.. ولكنّه أبقى الأمر سرًا حتى فات أوان المعرفة..

"ثينو": كنت أعرف أنّك لن تقفي في صفوف ظالمة.. صدقيني، أنت الوحيدة الصالحة لاعتلاء ذلك الجبل –جبل الأوليمب-

"آرتميس": بالطبع.. فما حدث لأمّي، لا أقبل أن يتكرر مع مخلوق آخر

"ثينو" في هدوء وهي تنظر للشموع أمامها: أمك؟ "ليتو"؟

هزّت رأسها أن "نعم" فسألتها مقاطعاً: هل كانت أمك أرضيّة مثلنا؟

"آرتميس": لا، "ليتو" هي ابنة الجبابرة الأوائل "كيوش" وأمها "فوبي" – ثم قالت في هدوء لـ "ثينو" –لقد خان "زيوس" "هيرا" مع أمي "ليتو" مما جعل "هيرا" تصبّ جام غضبها عليها وتمنعها حتى أن تلدني بمطاردتها بالحيّات والثعابين في كل مكان.. ولكنني في النهاية هنا، جئت رغمًا عن الجميع.. حتى "زيوس" الذي وقف عاجزًا عن درء الأذى عنها وأبى أن يعترف بها على جبل الآلهة..

"ثينو": كما أقول دائماً.. آلهة خائنون وبشر مدّعون..

...

دخل "أبو زيد" وهو يقول لـ "بوليفيموس": هلا تحملها بشيء من الآدمية من فضلك؟

وضعها "بوليفيموس" على الأريكة فاقدة الوعي بين نظراتنا المتسائلة..

سألت "أبو زيد": هـ. هل ماتت؟

"أبو زيد": بل لم تتحمل وسامة "بوليفيموس"

...

أفاقت تلك السيدة كثيرًا تلك الليلة..

و"كثيراً" هنا تفيد بالضرورة أنها قد فقدت الوعي كثيراً..

جداً..

...

"أبو زيد": لقد اقترب الفجر وهذه السيدة مصرّة على فقدان الوعي بشكل رهيب..

"ثينو": أرى أن نختفي قليلًا وأن نتركها مع "أبو زيد" و"عميرة"

"أبو زيد": أو أن نخبرها أننا نمثل الجزء الثاني من فيلم الوحوش هذا أيضاً.. تبدو طريقة ناجحة

"آرتميس": فلنحاول

وللعجب، فقد نجحت تلك الطريقة مع السيدة أيضًا مما زاد "أبو زيد" إعجابًا بهذه الجملة..

...

السيدة وهي ترتجف: ولكن المؤثرات رهيبة بحقّ–رشفت من كوب المياه وهي ما تزال ترتجف- شـ.. شكرًا لك يا.. أ.. يا..

قلت: اسمها "سالي" ولكن أرجوك نادِ الجميع بأسماء الشخصيات فلقد تعبت كثيرًا حتى تقمّصوا الأدوار مع المؤثرات بتلك الطريقة البشعـ.. الرائعة

ابتسمت السيدة في أدب وهي تقول: شكرًا يا.. أ.. "ميدوسا"؟

قلت بابتسامة مصطنعة: لا.. هي أختها، "سثينو" وللتخفيف "ثينو" أو "سينو" كما تشائين.. إحم، ومن أنت وماذا تفعلين هنا؟

السيدة: أنا "ريهام" مهندسة ديكور، لقد ابتعت العزبة التالية منذ عشرة أيام وجئت لإلقاء نظرة عليها فقط..

"أبو زيد": الآن؟ في منتصف الليل؟ ونعم الوقت

"ريهام": كنت عائدة من المطار فمررت عليها في طريقي..

"ثينو": اعذروني فهذه المؤثرات تحتاج للتعديل..

ثم انصرفت "ثينو" إلى الخارج وجالت السيدة بعينيها في البيت وهي تقول: جميل بيتك يا.. لم أتعرّف باسمك

قلت: "عميرة"

"ريهام": هل أنت مخرج ما؟

: نعم، أنا مخرج وفي وقت الفراغ أدرّس للصفوف الابتدائية مادّة الدراسات الاجتماعية

ضحكت "ريهام" حتى بدت نواجذها ثم قالت: أنت تمزح صحيح؟.. و.. اعذرني ولكن، هل هذه مكتبة بالأعلى؟

نهضت وقلت لها: إذا أحببت أن تلقي نظرة فتفضّلي..

قبل أن أصعد خلفها بالشمع في يدي همس "أبو زيد" في أذني: هذه السيدة رائعة الجمال

قلت في ثقة: لا تقلق، لست في مزاج جيّد للارتباط.. وبعد كل ما حدث لي فأنا لا أصلح بدنيًا ولا نفسيًا للزواج..

قال في نفاد صبر: هفف، هذه المرأة هنا لسبب نجهله..

...

كنت أنظر لوجهها الفاتن على ضوء المشعل..

لا أستشعر خطرًا منها حتى الآن.. هي امرأة فاتنة ذات ثياب تبرز جميع مفاتنها تنظر في مكتبة رجل عرفته للتوّ على ضوء الشموع قرب الفجر دون أن تعرف مصيرها بعد أن رأت وحوشًا من المستحيل أن أقنع طفلًا أمامهم أنهم ليسو حقيقيين..

لا خطر إذًا هناك..

...

ثم سمعت آخر صوت كنت أودّ سماعه تلك الليلة..

أو لباق حياتي..

...

"أستاذ عميراااااااااع"

انتفضت "ريهام" مكانها ثم قالت في خوف: من الواضح أن أعصابكم حديديّة لتعيشوا جوّ التشويق هذا دائماً

قلت في يأس: لا تقلقي إنه..

"أستاذ عميراااااااااع"

"أستاذ عمييييراااااااااااااااااع"

صحت من مكاني وأنا أعتصر جبهتي بأصابعي: اصعد يا عم "زمبااااااااع".. اصعد

صعد الرجل النحيل الدرج في خطوات رشيقة يتخللها بعض السعال من فرط السجائر حتى وقف أمام المكتبة ناظرًا في هيام إلى "ريهام" والسيجارة تدخّن نفسها بين أصابعه..

وبمجرد النظر إلى وجهه الرومانسيّ، فقد عرفت على الفور إجابة سؤال جدّي له طوال الأعوام السابقة (لماذا لم يتزوج!)..

: خيرًا يا عم "زمباع"

"ريهام" في سعادة: أوه، اسمه "زينباع"؟ اسم رائع

عم "زمباع" ولم يلتفتّ إلي من الأساس: أليس كذلك؟ لأول مرة أعرف أن اسمي بهذا القدر من الجمال.. هل تعرفين أن "زمباع" تعني القوة والجرأة والجسارة والإقدام والعزيمة والإرادة والبطولة والذكاء والدهاء والمكر.

صحت فيه: أية جرأة وبطولة؟ الـ"زنباع" هذا ليمون كبير..

"ريهام" في دهشة: أوه، جريب فروت؟

قلت بنفاد صبر: هل لي ببعض من انتباهك قليلًا يا عم "جريب فروت"؟ ماذا أتى بك الآن؟

عم "زمباع": لقد جئت بناء على مكالمة الحاجة والدتك – ثم نظر إلى "ريهام"- أنتِ بطلة الفيلم؟

قلت: انتظرني بالأسفل يا عم "زمباع" سأناديك.. وأرجو أن تلق نظرة على الكابلات

فغادر في تأفّف وضجر بالطبع..

ثم عدت أنظر لها..

هي فاتنة..

فاتنة بشكل مخيف فعلاً..

"ريهام": لديك مجموعة مثيرة للاهتمام.. أهذه مجموعة الـ" أنوناكي"؟

: اعذريني؟ ما معنى هذا؟

"ريهام" ضاحكة: الآلهة السومريّة كانت تعرف جميعها باسم الـ "أنوناكي".. ولا تظنّن أن تلك ثقافة ولكنها المعلومة الوحيدة التي ألممت بها أثناء تصوير مسلسل مغمور منذ شهور..

ثم نظرت في ساعة يدها: أعذرني لقد تأخر الوقت وعلي أن أذهب..

قلت: هل أوصلك إلى..

قالت وهي مغادرة: لا، أشكرك.. معي سيارتي بالخارج.. سأعود لزيارتك لو لم يضايقك هذا..

: لا بالطبع.. هو بيتك.. ولكن، لا تلتفتي لأي شيء قد تظنينه مريبًا هنا.. كلها كما تعلمين، مؤثرات..

...

غادرت وسط نظرات الجميع المتشكّكة..

عدا عم "زمباع" المحبّ ذو الابتسامة الساحرة بالطبع..

...

عادت "ثينو" من الخارج فور أن غادرت "ريهام" وهي تجول بناظريها حولنا.. فلما رآها "زمباع" صفّق قائلاً: مدهش، هذا عمل متقن –ثم شمّر عن ساقيه وأمسك جلبابه والسيجارة في فمه متجهًا إلى خارج البيت- ربنا يوفقكم..

لم تلتفت "ثينو" له ولكنها سألتني بهدوئها المعهود: أين المطار؟

قلت: المطار؟ بعيد.. ولكن، لم؟

"ثينو": هل يستطيع أن يذهب إليه المرء ماشياً؟

نظر لي "أبو زيد" ثم لها: ماذا تقصدين؟

"ثينو": ألم تستقلا سيارة عندما ذهبتما لمكان بعيد أنت و"عميرة"؟

"أبو زيد": حسناً؟

نظرت "ثينو" إلي مجدداً: هل من الطبيعي أن تأتي "ريهام" إلى بيتها الذي يليك على قدميها؟ دون سيارة؟

"أبو زيد": صحيح لم تكن هناك سيارة عندما وجدناها..

قالت "ثينو" بذات الثبات والهدوء: وقد تلاشت فور خروجها من هنا..

...

صعدت إلى المكتبة دون أن أنطق كلمة واحدة وأنا أفكّر في ما يحدث من حولي.. ثم رفعت رأسي عندما وجدت "أبو زيد" يجلس أمامي في صمت هو الآخر..

ظللنا صامتين لدقائق حتى نهض ليحرّك المكتب من أمامي قليلاً.. فسألته: ما هنالك؟

"أبو زيد" وهو ينحني ليلتقط شيئًا ما: كتاب سقط بجوار المكتب..

لما اعتدل "أبو زيد" وهو يمسك به ثم قال: اللعنة.. إلا هذا

..

جلسنا جميعًا ننظر إلى "أبو زيد" والليل ينجلي شيئًا فشيئاً..

ولم أره متوترًا هكذا منذ قابلته

...

قال "أبو زيد" في جدّية: هناك افتراض بشع قد قفز إلى مخيّلتي إذا ما كان هذا الكتاب بين ما قرأه "عميرة"..

نظرت إلى الصفحات التي أظهرها من الكتاب فقلت: نعم، ولكنني مررت عليها مرور الكرام..

"أبو زيد": بين تلك الصفحات التي أشرت عليها بأصبعك الكريم هذا، هناك كلمة دون وصف أو بمعنى آخر هو اسم دون وصف لأن صاحب هذا الاسم ليس له وصف..

"آرتميس": ومن هذا؟

"أبو زيد": "طنطل"

"بوليفيموس": من؟

"أبو زيد": "طنطل" هذا هو حرفيًا الـ "لا شيء".. هو مسخ يتشكّل في أية صورة ولا هيئة له

قلت: أليس الـ "طنطل" هذا هو رمز للبطولة و..

"أبو زيد": بالطبع لا.. فلو كان هو ما تقصد، لكتب جدّك عنه شيئًا يسيرًا على الأقل.. ولكن، كما ترى.. لا شيء..

"ثينوس": أتقصد أن الطفلة هي "طنطل"؟

"أبو زيد": لو صحّ هذا، فنحن جميعًا في مأزق كبير

...

نداءات "عم "زمباع"

"أستاذ عميراااااااااااع"

"أستاذ عميراااااااااااع"

"أبو زيد": ذلك الرجل المزعج يناديك ويصطحب آخر معه

خرجت إليه متثاقلاً: ماذا تريد ياعم "زمباع"؟ ومن هذا؟

عم "زمباع": هذا هو الباشمهندس "رفعت" الكهربائيّ.. انتظرت وضوح النهار حتى أحضره..

: شكرًا على مجهودك يا باشمهندس، خذه يا عم "زمباع" إلى الكابلات المقطوعة ناحية الفناء الخلفيّ..

عدت إلى الداخل لألقي بجسدي المنهك على الأريكة المحطّمة أنظر إلى الفراغ من حولي: أين الجميع؟

"أبو زيد": "آرتميس" بالمكتبة، "ثينو" داخل تلك الحجرة المظلمة أسفل الدرج، "بوليفيموس" ينام بطول الطرقة عن يسار باب البيت في الظلام حتى لا يراه أحد

: وهل اتسعت له؟

"أبو زيد": ينام على جنبه محدّقًا إلى الحائط.. أو لعلّه نام فهو ثابت منذ فترة بسيطة.. من كان هذا الرجل؟

: مختصّ بشئون الكهرباء.. حتى ينير الـ.. أشياء من هذا العصر كما تعلم

ابتسم "أبو زيد" بفكّه العريض وملامحه الوسيمة ثم قال: قد أكون من مكان آخر.. زمان آخر.. ولكنّني لست غبيًا يا "عميرة".. قد لا أعرف شيئًا عن الهاتف في جيبك ولكنّني أعي أنه وسيلة اتصال ما.. كهذا الشيء المربّع بالأعلى

: التلفاز؟

"أبو زيد": التلفاز.. نعم.. هو يعمل بطريقة ما حتى يطلعك على حدث آخر أو أشخاص آخرون.. فلست من الغباء حتى أظنّ أنك تقوم بتربية أقزام داخله..

: رأيته يعمل؟

"أبو زيد": عندما جئت.. كان هناك أناس يركضون داخله يخطفون من بعضهم كرة مستديرة.. كان شكلهم يدعو للضحك..

: حدثني عن قومك وحياتك يا "أبو زيد"

"أبو زيد": أردّ عليك؟ هل هذا مسموح؟

: ما بك يا "أبو زيد"؟

"أبو زيد": إذا كنت تسأل عن قومي وحياتي.. فاقرأ "ثقّف طفلك" –ثم ضحك حتى قهقه وبدت نواجذه-

وما أن سكت حتى نظر للأعلى ثم قال: هذا المصباح ينير.. يبدو أن ذلك الرجل قد نجح في..

(بووووم)

دخل عم "زمباع": هل أنت أكيد يا أستاذ "عميرة" أن تلك اللوحة متصلة بالبيت كلّه؟

: نعم، على ما أذكر أن تلك هي اللوحة الرئيسية للبيت.. لقد أخبرني جدّي من قبل أن هناك لوحة أخرى في العليّة ولكن، لا أحد يصعد هناك على ما أظنّ..

حكّ عم "زمباع" عمامته ثم صاح:"رفعاااااات".. "رفعاااااااات"..

نظر له "أبو زيد" في انزعاج قائلاً: لم لا تستخدم الهاتف مثل "عميرة"؟ لماذا أنت مزعج؟

نظر له عم "زمباع" في كبرياء ثم صاح: "رفعاااااااات"

صعدا – عم "زمباع" و"رفعت"- إلى العليّة بعدما اطمأننت من خلو الطريق لهما ثم عدت إلى "أبو زيد" أجالسه..

: بما أنّك لا تحب أن تحك عن نفسك كثيرًا فأخبرني، هل تعرف "أحمد بن فضلان"؟

"أبو زيد": الرحال؟ طبعًا وهل يجهله أحد.. لقد جاب العالم شرقًا وغربًا ولكنني لم أعاصره بالطبع

: حسناً، و"بن بطوطة"؟

"أبو زيد": من؟

: رحالة أيضًا مثل "بن فضلان".. ألا تعرفه؟ لقد عاش في القرن السابع الهجري

"أبو زيد": يا سيدي الفاضل، لقد أحضرتني إلى هنا من القرن الخامس الهجري.. وعلى كلٍ، لم أره في طريقي إلى هنا.. قد أراه في طريق العودة إن قدّر الله لنا العودة

قلت متجاهلًا سخريته اللاذعة: هل تعلم أن "بن فضلان" معروف حتى الآن؟ حتى أن هناك فيلمًا مشهورًا يحكي قصه.

"أستاذ عميراااااااع"

"أستاذ عمير.. "

صحت في ملل: ماذا تريد؟

"أبو زيد": قل لي مجددًا لماذا يعمل هذا الرجل هنا؟

: وصية جدّي

"أبو زيد": لماذا يناديك وهو يركض نازلًا مع "رفعت"؟!!

قال عم "رفعت" متذمّراً: قل لصديقك ذاك أنني أريد أن أنهي عملي ولا وقت لي للمزاح.. لقد تركت عملي في السفارة حتى أحضر لك وسأعود إلى وزارة الخارجية وأنت تعلم أن مواعيدهم مقدّسة وفيلّا الممثّل..

قاطعته قائلاً: نعتذر لجنابكم عن ذلك ولكن –ثم نظرت إلى عم "زمباع"- لم تمنعه من العمل؟ ألا تعلم ما نحن فيه..

عم "زمباع": لست أنا.. بل صديقك النائم بالأعلى..

: أيّ صديق؟

"أبو زيد": هيا نصعد.. انتظرانا هنا.. وهنا.. أعني هنا في مكانكما..

ولمّا وصلنا إلى الدرج قال "أبو زيد": أو اذهبا خارجًا حتى نعود.. هذا أفضل..

..

كنا نصعد على سلّم خشبي للعليّة وهو يئنّ ويصرّ تحت أقدامنا..

"أبو زيد": كيف لم يبحث أحد في هذا المكان من قبل؟

: لا أدري ولكن اخفض رأسك فالباب فوق رأسي يحمل أطنانًا من التراب

"أبو زيد": ألم يفتحاه هذان الأحمقان للتوّ؟ لماذا لم يسقط التراب فوق رأسيهما؟

: يبدو أنهما قد فتحا النافذة بالداخل فحركت التراب تجاه المدخل مجدداً

ثمّ فتح أحد ما الباب ونحن ننظر له من الأسفل..

"أبو زيد": وكأنني أسمع "ثينو" تقول خمسة وستون..

ظلّ الرجل ينظر لنا بوجهه المرعب ولباسه المريب في صمت ونحن نبادله النظرات من الأسفل

: ومن أنت؟

قال الرجل: بل من أنت؟

: "عميرة" وهـ. هذا "أبو زيد"

"أبو زيد": هل من الممكن أن نأخذ وضعًا أكثر راحة؟ إما فوق أو تحت؟

قال الرجل: لستما عدوّين؟

: لا.. كما ترى.. أنا أعزل

"أبو زيد": وأنا أضع أرنب السلام على صدري

..

نزل الرجل معنا طوعًا إلى الهو وتركنا عم "زمباع" والكهربائي الدولي يمارسان عمله – عمل الكهربائي حيث لا أعرف ماذا يفعل عم "زمباع" بالضبط

..

"إدفن" قالها الرجل بذات النظرة المريبة المتشكّكة: اسمي "إدفن"

: وماذا كنت تفعل بالأعلى؟ ومنذ متى وأنت بالأعلى؟

"إدفن": منذ أيام.. انتظرت هدوء الوضع من حولي حتى أستطيع التفكير..

"أبو زيد": فيم؟

"إدفن": لقد وجدت وحوشًا كثيرة ومقاتلين كثر ولكنني لم أتبيّن عدوًّا واحدًا من بينهم وإلا لقتلت الجميع

نظر لي "أبو زيد": هل تعرف أسطورة باسم "إدفن"؟

: لا.. لم يرد هذا الاسم على مسامعي قطّ..

نظر له "أبو زيد": تبدو محاربًا قوياً.. دعني أخمّن أنك من بلاد الثلج

هز رأسه الضخم ولحيته البرتقالية أن "نعم".. قلت: الفايكنج؟ محارب فايكنج؟

قال في فخر: قائد جيش النخبة

: النخبة؟

تذكّرت في تلك اللحظة إعجابي بنخبة جيش الفايكنج.. فهم قلّة ولكنّهم كانوا يعدّون جيشًا وحدهم حتى أن الفرد منهم كان جيشًا في حدّ ذاته..

سمّى التاريخ مقاتلهم بـ" بيرسيرك" أي "الخارج عن السيطرة".. وذلك لأن القادة أنفسهم لا يملكون سيطرة عليهم عندما يطلقونهم في المعارك ولا يجرؤون على إعطائهم الأمر بالكفّ أو العودة.. فهم يمرحون كما يمرح الذئب المتضوّر جوعًا في عشّة من الدجاج الأعرج.. عملًا بمبدأ "الكثير من الدماء، الكثير من المتعة".. لدرجة أن بعضهم كان يقضم الأعداء في أرض المعركة..

والجالس أمامي هنا هو نخبة النخبة فيهم؟

قائد "البيرسيركيين"..

"أستاذ عميراااااااااع"

"أستاذ عميرااااااااااااااااااااع"

تجاهلته ثم سألت "إدفن": أعذرني، ولكن كيف بقيت بالأعلى طوال تلك الفترة؟

"أبو زيد": هل تسأل مقاتلًا كهذا الرجل كيف بقي؟ أنت تمزح

نظر "إدفن" لـ "أبو زيد": أنت مقاتل أيضاً؟

"أبو زيد": نعم.. عربيّ

نهضت من مكاني وأنا أرجو أن يتآلف ذلك الرجل مع "أبو زيد" جيداً.. قد لا أثق في هيئة ذلك الوحش الكاسر الذي يجلس في هيبة برتقالية، ولكنني أثق في ذكاء "أبو زيد"..

"أستاذ عميرااااااااااااااع"

: لماذا تناديني بهذا الاسم يا عم "زمباع" ؟

عم "زمباع": أليس هذا اسمك؟

: بالطبع لا.. لاينتهي اسمي بـ"رع" بل، "رة" في النهاية "رة" أو "را" مع مدّ الألف

عم "زمباع": كان الشيخ يقول هذا في الكتّاب لنا ونحن أطفال.. مدّ الألف والواو والراء

: الراء لا تمدّ يا عم "زمباع".. ألف و واو وياء

عم "زمباع": ما شاء الله.. لعل الله هداك مما تفعل.. نصيحتي لك أن تقول للفتيات الموجودات في الفيلم أن يرتدين أزياء محتشمة قليلة.. فمن تقوم بدور الحنش ترتدي أستغفر الله صدريّة فقط والأخت ذات الجناحين تسير ببطن عارية.. أنت شاب وأنا أخشي عليك الفتن.

قاطعته في نفاد صبر: سأفعل.. لماذا كنت تناديني؟

عم "زمباع": أنا في مقام والدك –رحمه الله- وأنصحك وأخاف عليك يا بنيّ

: أولًا والدي لم ينجبني وهو في العاشرة ياعم "زمباع".. يا عم "زمباع" أنت أكبر منّي بعشر سنوات فقط.. ثانيًا لا تنتظر منّي أن أقفز إلى حضنك وأبكي متأثراً.. ثالثًا أخبرني لماذا كنت تناديني وكفّ عن الحديث العبثيّ.. رابعًا إذا تفضّلت، أحضر لي أي مسكّن للصداع من أبعد صيدلية تعرفها داخل الجمهورية..

لم تهتزّ شعرة واحدة تحت عمامته ثم نظر صاح: "رؤووووف"

: اسمه "رفعت"

بذات الثقة: "رفعاااااااااااات"

حضر "رفعت" الكهربائي وطلب مبلغًا مبالغًا فيه وكأنّه كان يخترع المصباح الكهربائي بالأعلى ثم أدهشني بمعلوماته الفذّة عن قدرة النحاس على توصيل الكهرباء وقدرة المفكّ على الفكّ..

بل والربط أيضاً..

عدت إلى "إدفن" بعد فترة محترمة من الحديث الشيّق عن بطولات "رفعت" في تسلّق ناطحات السحاب ومغامراته في ليبيا والعراق والإمارات التي تركها مرغمًا ليسافر إلى "دبي"!!! ثم عن أخطاء الحمقى –هذا رأيه ولهم جزيل الاحترام- الذين صمّموا كهرباء البيت الأبيض.. وكيف لهذا أن يؤثّر سلبًا على قرارات الحكّام..

...

"أبو زيد": لقد تفهّم الرجل الوضع كاملاً

"إدفن": أنا معكما قلبًا وقالباً.. أنا أثق في هذا الرجل على الرغم مما يرتديه

"أبو زيد": هلا تبحث في خزانتك عن شيء ارتديه سوى هذا الأرنب المهين؟

..

"أستاذ عميراااااااااااااااااع"

"أستاذ عميراااااااااااااااااااااع"

خرجت من البيت في بسمة باردة ونبرة: نعم!!!

عم "زمباع" في سعادة بالغة: الشرطة قادمة خلفي

قلت وقد تحوّلت ملامحي تماماً: شرطة؟ ماذا حدث؟

قال بذات البسمة السخيفة: هناك من قدّم بلاغًا ضدك بسبب الضوضاء

: ضوضاء؟ أية ضوضاء؟

عم "زمباع": سرقة الكهرباء إذاً؟

: لقد أصلحها سوبر "رفعت" هذا لتوّه.. ألم تسأل الضابط عن السبب؟

قال بسعادة غامرة: لا

: ولم أنت سعيد هكذا؟

تنهّد محاولًا في شفقة أن يبدو وسيماً: لأن الأستاذة "ريهام" معهم..

...

"منحنى جديد"

قال الضابط: مساء الخير، الرائد "حسن شندي"

نظرت له ولسيارة الشرطة خلفه ثم لـ "ريهام" والعساكر: "عميرة خالد" صاحب البيت.. ماذا هنالك؟

قال: هناك بلاغ ضدّك من مجهول بأن هناك نشاطات مريبة تجري هنا..

نظرت لي "ريهام": هل تسمح لي؟.. يا أستاذ "حسن"، هذا رجل محترم ومخرج قدير.. ما تراه هنا هو تصوير لجزء من فيلم أجنبيّ.. إنه تنشيط للاقتصاد والسياحة كما تعلم..

حتى وإن كانت تدافع عنّي، فلا تزال غير مريحة على الإطلاق.. تلك التنورة الضيقة القصيرة، هذا الجاكت الضيق القصير، القميص الأبيض المجسّم، حذاؤها ذو الكعب المرتفع، شعرها الأسود المسدل، ملامحها الفاتنة الطبيعية، عطرها الساحر، حتى صوتها هادئ، ناعم وهي دومًا تتحدّث بدلال..

لا أظنّ الأمر إعجاب على الإطلاق، فأنا كأي شاب ترعرع بين أقرانه من حبّات الباذنجان على عربة الفول.. ذو بطن صغير يعتبر مثالًا حيًا على عملية الاتّزان الكيميائي.. فهو لا يتغيّر مهما فعلت.. فماذا تريد هذه الفتاة أو المرأة ؟!!

تنهّدت على صوت الضابط يصافحني وهو ينظر لها: شكرًا لك يا أستاذة "ريهام" وجزيل شكري والسلام للسيد اللواء..

قلت في سخرية: سأخبره سلامك..

ثم نظرت له وهو يغادر أمام عم "زمباع" – السحلية الغيور –

...

سألتها: من قدّم ذلك البلاغ؟

"ريهام": قد يكونون أصحاب العزبة السابقة لكم!

: إنها أرض مهجورة منذ فترة.. أ.. تفضّلي بالدخول

دخلت إلى البهو فوجدته خاليًا إلا من حطام الأثاث فقالت: يبدو حقيقيًا جداً

: على الأقل هذا يبدو حقيقياً

لم تنتبه لتلميحي ثم جلست على طرف الأريكة: هل تستخدم عزبتك هنا كموقع للتصوير دوماً؟

: هذا أول عمل لي في الإنتاج وفضّلت أن أبدأ بمكان لا يعرفه أحد.. هل لي بسؤال عن شيء مريب؟

"ريهام": طبعا، تفضل

: كيف اختفيت في المرة السابقة..

ضحكت في دلال كعادتها: اختفيت؟ إن المؤثرات تلعب دورها معك.. لقد كان الهواء شديدًا بالخارج وقد غطّاني التراب تماماً.. ثم طلبت خدمة توصيل السيارات عبر الهاتف وذهبت بعيداً.. لقد أحرجت بالطبع أن أطلب منك أن توصلني..

هي تتحدّث في مرح وبلا تكلّف ولكنّي غير مطمئنّ لها بالمرّة..

"إدفن"، "أبو زيد"، "بوليفيموس"، "آرتميس"، "ثينو"

أساطير تجلس أمام بشري مثلي.. محاولين أن نعرف حتى ما هي الخطوة التالية لهذا الموقف الذي نحيا فيه؟

"إدفن": لو كانت العودة مستحيلة، فلماذا لا يمكن لنا التعايش هنا؟

"آرتميس": لقد خلقنا لزمان ومكان محدّدان ولا أظنّ أحدنا قادر على التكيّف هنا

قلت: "آرتميس" محقّة، فطبيعة كل منكم مختلفة عن المكان هنا وعن طبيعة الزمن الذي نحياه.. أنتم قوم ذوو بأس ومهارات قتاليّة ليس لها أي متنفّس هنا.. واختلاف الثقافات هذا قد يكون عائقًا أمامكم..

"أبو زيد": وسيتوقّف هذا في النهاية على قدرة الفرد فينا على التكيّف..

دخل عم "زمباع" في هدوء على غير عادته وجال بعينيه بيننا في توتر ثم دعاني على انفراد..

عم "زمباع" هامساً: هل أنت مطمئنّ لهؤلاء الأشخاص؟

لم أعتد هذه النبرة منه أبداً: لماذا؟

عم "زمباع": هناك شيء ما قد حدث وهو لا تؤاخذني، بمثابة المصيبة فوق رأس حضرتك وعائلتك فردًا فرداً

وضع سيجارته في فمه وضيّق عينيه في مكرٍ شديد ثم انتزعها..

تلّفت حوله ثم قال: تعال معي

مشيت خلفه وأنا أقنع نفسي جاهدًا أنه قد يتفوّه بشيء مفيد هذه المرّة..

توقّف عم "زمباع" داخل الفناء الخلفيّ قائلاً: انظر!

جلت بناظري حتى اصطدمت عيناي به مجدداً: ماذا هنالك؟ لا شيء..

عم "زمباع": بالضبط.. لا شيء.. لقد اختفى الدجاج..

: هل يستحق الدجاج هذا التشويق؟

تلفّت حوله مجدداً: ليس هذا فقط.. تعال معي

: أرجو أن يكون شيئًا مهمًا هذه المرة

مشينا على ضوء الهاتف مسافة لا بأس بها حتى باب العزبة –الذي من حسن حظي لا يزال موجوداً- ثم قال: من هنا..

ابتعدنا عن سور العزبة بالكليّة وعبرنا الطريق المظلم حتى وصلنا إلى أكوام ترابية..

وكان ما رأيته لا يبشّر بأي خير..

إنها جثّة هامدة.. وهي لشخص يبدو مألوفًا لي!

نظر لي عم "زمباع" قائلاً: إنه الضابط الذي جاءك في الصباح

...

هذه قطعًا ليست مصادفة..

وليس سوء حظ أضيفه إلى المصائب التي تحلّ فوق رأسي منذ فترة..

قطع عم "زمباع" الصمت قائلاً: هل تثق بطاقم عملك هذا؟

: هل ينتابك الشكّ في أحدهم؟

أشعل سيجارة أخرى وهو يقول: طبعاً! كما ترى، الوفاة غير طبيعيّة..

: حقاً؟ الوفاة غير طبيعية؟ هذا شخص نصف عار وملقى خلف أكوام التراب ويملأ وجهه أثر الدماء..

عم "زمباع": إذًا أنا على حقّ

: هل رأى أحد غيرك هذا؟

هز رأسه بالنفي فاستطردت: هيا نعود قبل أن يرانا أحد..

...

عدنا أدراجنا سريعاً، نلهث ثم توقّفت في منتصف العزبة ملتفتًا له: لا تخبر أحدًا هناك عن هذا الأمر..

أخذ نفسًا طويلًا من السيجارة: لا تقلق..

...

ما أن دخلنا إلى البيت حتى صاح عم "زمباع": من قتل الضابط "حسن شندي" الذي جاء في الصباح وألقاه خلف أكوام التراب في الجهة المقابلة للعزبة؟

نظر له الجميع غير فاهمين ما يحدث.. في حين نظرت له في غيظ شديد، فمال إلي يقول: المفاجأة تربك الفاعل دائمًا وتدفعه للاعتراف

: لقد رأيت الضابط مقتولًا الآن مع عم "زمباع"..

نهض "أبو زيد" متثاقلاً: ألم تقل أنه كان مع "ريهام"؟

: لا أريد أن ألقي التهم جزافاً.. دعنا نتأنّى قليلاً.. فقد بدأت الأمور في اتخاذ منحى جديد وهو غير محمود على الإطلاق..

عم "زمباع": أين السيدة الحمامة؟

"أبو زيد": "آرتميس" في المكتبة مجدداً..

: عم "زمباع"! اصنع لنا أكوابًا من الشاي.. "أبو زيد"! تعال معي.. وبقيّتكم! دون أدنى إهانة، أرجو منكم أن تبحثوا عن أي شيء قد تجدونه مريبًا بالخارج مجدداً..

...

"آرتميس" وهي تمطّ رأسها للمكتبة في اهتمام: ما هنالك؟

قلت بضيق: شخص قُتل

جلس "أبو زيد": الضابط

نظرت لي "آرتميس" في مواساة: آسفة على هذا الوضع

: لا عليك، لم أكن أعرفه بشكل شخصي.. ولكن، سيبقى مقتله في رقبتي إلى يوم الدين حتى يثبت أن قاتله خارج الدائرة هنا..

"آرتميس": الأمور دومًا بخير حتى تسيل الدماء

"أبو زيد": هذا صحيح

مطت رأسها مجددًا لأعلى المكتبة وهي تقول: مكتبة مهولة بعرض الحائط تئنّ بمئات الكتب والمجلّدات الضخمة في جميع فروع العلم، المعروف منها لي والغير معروف تحوي نسخة وحيدة من قصة اسمها "ثقّف طفلك"؟

: وماذا في ذلك؟ فكل الكتب هنا نسخة فريدة من نوعها..

"آرتميس": كل الكتب والمجلدات هنا للبالغين إلا هذا فقط للطفل.. ولم قد يحتفظ جدّك بهذه القصّة؟

"أبو زيد": قد تكون ذكرى؟ مثلا؟

"آرتميس": لقد خطّ جدّه جميع الكتب بيده.. أما هذا، فمكتوب عليه دار نشر (.. ..) واسمه غير موجود عليه

"أبو زيد": إلى ما ترمي؟

"أرتميس": إذا كنت سأبدأ بالشكّ داخل هذه الغرفة، فسأبدأ بهذه القصة..

قلت غير مبالٍ: لا أتفق معك ولكن، حسناً

"أبو زيد" وكأنما تذكّر شيئاً: ناولني هذه القصة

أمسكها وشرع يقلّب في صفحاتها ثم ألقاها أمامي: "آرتميس" محقّة..

نظرت إلى هذه القصة فوجدت صفحاتها بيضاء ناصعة.. لا مكان فيها لصورة أو حرف..

"أبو زيد": كانت البطاقة بداخلها، ولم تكن بهذا الشكل عندما نظرت فيها في المرة الأولى..

نظرت و"أبو زيد" طويلًا للقصّة نفكّر في حين تجاهلت "آرتميس" الأمر برمّته وظلت تحدّق في نهاية المكتبة.. نهض "أبو زيد" ليقف بجوارها ويمطّ عنقه هو الآخر..

نهضت من فوق الأريكة: ما هنالك؟

"آرتميس": هل جدّك هو من صمّم هذه المكتبة؟

: نعم.. لم؟

"أبو زيد": لو كنت مكانه لأمسكتها بالسلاسل من أعلى بدلًا من أن تسقط فوق الجالس تحتها

"آرتميس": لا أظنها كانت معلّقة بهذا الشكل طوال تلك السنين.. وإلا سقطت

"أبو زيد": هل هذه قصة أخرى بالأعلى؟

...

دققت النظر: لا، هذه مفّكرة حاولت الانتحار ولكن المجلّد الشهم منعها..

"آرتميس": أتظنّ أن فيها شيئًا مفيدًا بهيئتها ووضعيّتها العجيبة تلك؟

"أبو زيد": اصعد يا "عميرة".. أحضرها

قلت في استنكار: ولم لا تحضرها أنت؟

"أبو زيد": ستسقط المكتبة حتمًا بوزني هذا –ثمّ ربّت على بطني الصغير- أنت أخفّ وزنًا على الرغم من الخوذة التي ترتديها هذه..

نظرت له في غيظ: هل أنت أكيد من أنك "أبو زيد الهلاليّ" ولست "جحا المصريّ"؟

"آرتميس": لا عليك، سأحضرها

قلت وأنا أنظر لـ"أبو زيد": لا عليك، سأحضرها أنا

تسلّقت الأرفف وهي تسبّني لأنني أدهسها دهساً: لا أعرف كيف كان يصل جدّي لذلك الارتفاع بطوله ذاك

"أبو زيد": لعلّه كان أرشق حركة وأخفّ وزناً

: ذكّرني أن أعيد النظر في الميثولوجيا العربية لعلّني حقًا أخرجت "جحا"

"آرتميس": من "جحا"؟

"أبو زيد": شخص عربيّ مسالم معروف بخفّة ظلّه

قلت وأنا أرتفع أكثر: كيف تعرفه؟

"أبو زيد": لأنه عربيّ وليس مصرياً.. غير أنّه كان يعيش في القرن الأوّل الهجري.. هو من "بني فزارة" إذا كنت تعلم عنهم شيئاً

: صراحة! لا

"آرتميس": اثبت يا "عميرة" إن المكتـ..

..

ثم وجدتني أنظر للسقف ومئات الكتب فوقي

"آرتميس": من حسن حظّك أن المكتبة مالت بك فقط ولم تهشّم رأسك

قلت وأنا مستلق في ذات الوضع: ألم يفكّر أحد الأبطال الخوارق في أن يتلقّفني بدلًا من هذه النظرات الهادئة؟

"أبو زيد": لم أكن لأفوّت هذا المشهد المضحك.. فـ "جحا المصري" يحب الضحك كما تعلم..

أرحت رأسي على الأرض مليًا ثم سألتهم: أتعلمان أمراً؟ هناك شيء ما قد غفلت عن التفكير فيه..

"آرتميس": وهو؟

: كيف خرج "بوليفيموس" من هذه الغرفة إذا كان قد ظهر فيها؟

"أبو زيد": يا إلهي.. أنت محقّ.. لقد دخل "بوليفيموس" من الخارج..

"آرتميس": معنى هذا أنه قد يكون هناك أشخاص آخرون بالخارج لا نعرفهم؟

هزّ "أبو زيد" رأسه ثم أردف: لا أظنّ أنّ للأمر علاقة بصغر حجمنا أو كبره.. فقد خرج "خارون" من غرفة المكتب بصعوبة بالغة.. ولكنني أظنّ هذا أيضاً.. ألن تنهض من مكانك؟

: لو لم تلاحظ ذلك فأنا أحاول بصعوبة بالغة..

هنا دخل عم "زمباع" مندفعًا ثم توقّف فجأة ينظر لي: لن أنظّف هذا ولن أرتّب المكان ثانية..

سألته وأنا أتأكّد من سلامة عمودي الفقري: ثانية؟ هل نظّفته من قبل؟

قال في ثقة: نظّفته عندما اتّصلت بي والدتك قبل سفرها وأخبرتني أنك ستمكث هنا لبعض الوقت.. حتى أنّني أزلت الفوضى أعلاها..

"آرتميس": أية فوضى كانت أعلاها؟

عم "زمباع": السلاسل الصدئة التي كانت معلّقة بلا داع.. إن الصدأ يجلب الفئران كما تعلمين..

"أبو زيد": لماذا جئت مندفعًا يا عم "زمباع"؟

: انتظر، فككت السلاسل؟ التي كانت معلّقة بالأعلى؟

عم "زمباع": طبعاً، لقد كانت معلّقة في الحائط ونشرت الصدأ مكانها – ثم قال في فخر- فنظّفت الحائط كما ترى..

"أبو زيد": إحم، لماذا جئت يا سيد "زمباع"؟

تحوّل فجأة وكأنه تذكّر أن يغضب ثم أشار بأصبعه لي: اسمع يا أستاذ "عميرة" لقد خدمتكم في هذا المكان لسنوات طويلة.. وسكتّ

عندما رأيت تلك الفتاة –وأشار لـ "آرتميس"- ترتدي هذه الملابس الفاضحة.. معذرة يا بنيتي أنا في سنّ والدك.. وقلت بأنها من أجل الفيلم.. والأخرى ترتدي صديرية.. فقلت تغطيها التشوهات التي لطخّتم بها شكلها.. أما أن أجد امرأة حمراء تركض بالخارج بملابس داخلية.. هذا ما لا أرضاه ولا أسمح به.. هذا بيت شريف ولن أسمح بأن تسيء لسمعة الحاج "زين".. اعذرني أنا في مقام والدك طبعاً..

ثم خرج في غضب وحاول أن يغلق الباب وراءه في عنف..

ولكن الباب ثقيل عليه..

فأشعل سيجارة ونزل إلى البهو تاركًا ثلاثتنا ننظر لبعضنا..

(المرأة الحمراء)

خرجنا جميعًا نبحث عن تلك (المرأة الحمراء) فلم نجد أحداً.. حتى بعدما بحثنا في جميع الأماكن داخل العزبة.. وظلّ عم "زمباع" يقسم لنا بأغلظ الأيمان أنه رآها ونحن نقسم له أننا نصدّقه ولكننا لا نعرف من هي..

فنحن في موقف يضطرنا جميعًا أن نصدّق أي شيء..

...

فتحت المفكّرة وكانت مهترئة ومكتوبة بخطّ اليد ولكن، باللاتينية..

ناولتها "آرتميس" تقرأها: تعود هذه المفكرة إلى بعد ميلادك مباشرة يا "عميرة".. كتبها جدّك.. هممم.. حسناً، يقول جدّك فيها (عندما لجأت إلى "القاهرة" كنت أجهل تمامًا أي مصير قد ألاقيه وطفلي الصغير الذي لا يعي شيئًا بعد.. كان حسن حظّي هو ما جعلني أقفز آلاف السنين لأصبح في مكان يتواجد فيه اليونانيّون كغرباء عن وطنهم حتى لا يُفضح أمري بين بنو جنسي فأصبح محلّ شكّ وريبة عندما يجدونني لا أعرف شيئًا عن "اليونان" الحديثة.. ولم يهتم المصريّون كثيرًا لسؤالي عن "اليونان" فهم –للأسف- كانوا يعرفونها أكثر منّي وقتها.. عشت في سلام وساعدني البعض حتى أجد عملًا – التجارة –.. نشأ "خالد" محبوبًا ممن حوله وشككت في مرة من المرات أنه يسرق من الناس حتى رأيته يخرج من يديه الذهب كالعجين ويشكّله على هيئة لعبًا صغيرة.. لم يستحق الأمر أن أخفيه لأن قدرته كانت محدودة وضعيفة والفترات التي يستطيع أن يخرج بها الذهب من كفّيه تفصلها

أسابيع وأحيانًا شهور.. ولكن، كان عليّ أن أنبهه ألا يفعل ذلك أمام أحد وألا يخبر عن ذلك أحداً..)

قلّبت "آرتميس" الصفحات ثم قالت: هناك شيء آخر مكتوب هنا

(لما تزوّج "خالد" وأنجب "وائل"، تعجّبت من التسمية فأخبرني أنّها رغبة والدته فلم أعترض.. ولكنّني ظللت أفكّر في الاسم.. فيجب أن يدلّ اسم كل فرد من عائلتنا على قدرة صاحبه أو ميزة على أقل تقدير..)

قلّبت صفحة أخرى ثم قرأت:

(لم يصدمني خبر وفاة "وائل".. قدر ما صدمني ميلاد "عميرة".. لقد كان الطبيب محقًّا عندما أخبرنا أن رحم أمه حوى جنينين، لا واحداً.. لقد التهم "عميرة" أخاه التوأم ليعيش هو.. ولم تكن تلك أنانيّة ولا بالشيء المشين على الإطلاق فهي إرادة الحياة التي يتكون منها البشر.. لذلك تمثّل الحياة بالنسبة إليهم أثمن ما لديهم..

عندما نظرت إلى المولود، ارتعبت من وجود سبابتين مثقوبتين.. فهذا لم يحدث أبدًا في سلالة "هوميروس" جدّنا الأكبر المخلص لـ "هيداس" وأعظم ساحر فينا..)

رفعت "آرتميس" رأسها ببطء: أ.. أنت.. من سلالة "هوميروس"؟

"أبو زيد": لقد سمعت أن هذا شخص ينشد الشعر قديماً.. أليس كذلك؟

"آرتميس" وقد بدا عليها الحيرة: لا.. "هوميروس" هذا كان بشرًا عاديًّا ولكنّه تعلّق بصخرة مسنّنة على جبل "هيداس" عندما سقط وهو يصطاد فأبقى "هيداس" على حياته ومنحه القوّة.. ولكننا لا نعرف أيّة قوّة منحها إياه..

استأنفت "آرتميس" القراءة وسط ذهول الجميع: (عدت لـ" هوميروس" بالزمان أسأله عن هذا المولود فقال "هوميروس": هو آخرنا.. وهو يحمل ذات الصفة -ثم رفع سبّابتيه المثقوبتان- نصفه ملعون والآخر عطيّة "هيداس"..

فسألته: وماذا أسمّيه؟

قال: خذ من الـ "كايميرا" لحنها.. فهو "كايميرا".. هو يفوقني قوّة، ولو لم يكن عادلاً، ستهلكون

فسألته في حيرة: كيف يكون أقوى منك؟ لقد عشنا أجيالًا بفضل قوّتك أنت

قال: إن اسمي "هوميروس" ولكن حقيقتي هي "كيربيروس".. أما هو فالـ "كايميرا")

رفعت "آرتميس" رأسها تنظر لي في حيرة وكأنها فقدت القدرة على النطق..

"أبو زيد": ما الـ "كيربيروس" و الـ"كايميرا"؟ أنا لا أفهم شيئًا الآن

"آرتميس": كان الـ"كيربيروس" كائنًا ضخمًا ذو ثلاثة رؤوس يخدم "هيداس".. أما الـ" كايميرا" فهو كائن بثلاثة رؤوس أيضًا ولكنّه أقوى وأعنف لأنه يتكون من ثلاثة حيوانات ضارية مختلفة..

: أنا لا أصدّق حرفًا من هذا فهو يبدو لي بعيدا كل البعد عن المنطق

"أبو زيد": عن ماذا؟ وهل تجد أي مما يحدث منطقياً؟

"آرتميس": على كل حال، لقد انتهى الكلام هنا وباقي الصفحات بيضاء..

نظرت لـ" ثينو"، "بوليفيموس" و"إدفن": أي تعليق؟

هزّ "بوليفيموس" رأسه بالنفي في حين قالت "ثينو": قدرة جدّك هي التنقّل عبر الزمن وقدرة والدك هي خلق الذهب بينما قدرتك هي تحرير الكلمات الحبيسة داخل الأوراق؟

"أبو زيد": هذا ما قالته "آرتميس".. أو ما قرأته إذا تحرّينا الدقّة

"ثينو": لا أظنّ بأنّ جدّك كان يجهل قدر قوّتك.. لقد كان يعلم ذلك جيداً..

"آرتميس": ولم تقولين هذا؟

"ثينو": ذلك رجل نهمٌ للعلم والمعرفة فلن يفوّت أمرًا كهذا.. والدليل على ذلك أنه انطلق عائدًا بالزمن فور ولادة "عميرة".. وما سمعه من "هوميروس" ليس بالأمر الهيّن.. فأغلب ظنّي أنّه قد عرف على الأقل ما هو قادر عليه.. بالإضافة إلى أنني أشكّ بأن قدرته هي مجرّد تحرير الكلمات الحبيسة داخل الأوراق.. لقد قال "هوميروس" أن قوة "عميرة" تفوق قوّته التي أثّرت في أجيال من السحرة..

قلت مقاطعاً: أنا لا أظنّ بأنني أملك أية قوى من أي نوع.. لقد تحطّم عمودي الفقري عندما سقطت من ارتفاع مترين ونصف..

"أبو زيد": نعم، لقد كان شكله مضحكا للغاية

نظرت له في ضيق قائلاً: هلّا تفعل شيئًا واحدًا يدل على أنك "أبو زيد الهلاليّ" من فضلك؟ إنك تثبت لي أنك "جحا" مع كل كلمة تنطقها

"آرتميس" وهي تنظر للمفكّرة أمامها على المكتب: تطفو الكثير والكثير من الأسئلة.. ولكنّني أظنّ أنها كالعقد الذي سينفرط فجأة..

"أبو زيد": "إدفن"! لم نسمع صوتك للآن.. ما رأيك؟

نظر لنا "إدفن" ثم قال في هدوء: الشاي راااائع

...

"إدفن": ماذا ستفعل في جثّة الضابط؟ والفتاة الحمراء التي.. - ثم ترك كوب الشاي- من الأكيد أنها هي من قتلته.. ولو كنت سأقترح تفسيرًا لها فهي شيطانة لا أكثر..

نظرنا له جميعًا ثم صاح "أبو زيد" فجأة: "زمباااااااااااع"

: تباً.. لقد انتقلت لك عدوى الصياح سريعاً

...

دخل "زمباع" البيت وهو يدخن ويسعل في آن واحد ثم قال لي: هل فكّرت فيما قلته لك؟ لقد كنت أعلـ.

"أبو زيد" مقاطعاً: هذا ليس وقتًا مناسباً.. أخبرنا كيف كانت هيئة المرأة الحمراء تلك؟

جلس عم "زمباع" فور شعوره بأهمية ما سيقوله لنا جميعًا ثم وضع السيجارة بين أصابعه وهو يقول: كانت –معذرة يا بنيتي- ترتدي جناحين مثل السيدة الحمامة تلك ولكنهما سوداوان.. وترتدي ملاب.. تستطيع أن تقول أنها لا ترتدي شيئاً.. شعرها ثائر أسود وأحمر.. تحمل سيفًا عريضًا لامعاً.. حافية القدمين.. جميلة الملامح..

: كنت أظنّك رأيتها "صدفة" يا عم "زمباع" عندما ثُرت في وجهي.. لم أظنّك تكتب مقالة نقديّة في هيئتها..

"آرتميس": متى رأيتها يا عم "زمباع"؟

عم "زمباع": قبل أن أدخل المكتبة هنا

"آرتميس": أقصد.. هل رأيتها قبل أم بعد قتلها للضابط؟

عم "زمباع": قبل.. وكانت مرتبكة وخائفة لما رأتني وقالت لي ألا أخبر أحدًا أنني قد رأيتها

"أبو زيد": خائفة ومرتبكة؟

عم "زمباع": في الحقيقة لا.. لقد غازلتني ثم هربت..

: أفضّل أن أصدق بأنها كانت مرتبكة وخائفة على أنها غازلت عم "زمباع"

"ثينو": أنا أصدقّه

نظرت لها في تعجّب وكذلك "أبو زيد" في حين قال "إدفن": بدأت أشعر بأنني على حقّ!!!

"أبو زيد": أي شيء آخر يا عم "زمباع" عن الفتاة؟

حكّ رأسه من تحت العمامة ثم قال: مؤخرتها كبيرة

"أبو زيد" في ضيق: ليس هذا ما أقصده بالطبع.. أقصد هل هناك أية تفاصيل مريبة؟

هز رأسه بالنفي ثم نهض وهو يمسك بسيجارته في يمينه ويضيع يده اليسرى في جيب جلبابه الفضفاض.. ولم يكد ينصرف حتى عاد يقول: أه.. لقد نسيت.. لقد كانت تشبه أستاذة "ريهام" بالضبط..

...

قبيل عصر التالي..

كانت "ريهام" تجلس أمامي في هالتها الأنثوية المستفزّة تطلب منّي أن تجلس إلي في حين ينتهي العمّال من إنهاء التشطيبات اللازمة في بيتها..

بدأت "ريهام" الحديث: أعتذر على تطفلي عليك من آن لآخر.. هذا ضد طبيعتي في الواقع..

: لا عليك.. ولكنني.. أ.. لا أعرف عنك شيئًا حتى الآن إذا سمحت لي

قالت في أسى: أنا وحيدة هنا كما ترى.. كانت تعيش أسرتي في "مصر" حتى حصل والديّ على عقد عمل في أوروبا وأنجبوني هناك.. انقطعنا تمامًا عن عائلتنا هنا فما عدت أعرف أحداً.. توفّي والدي بالخارج وترك لنا ثروة لا بأس بها فرأيت أن أستثمر جزءًا منها هنا في تلك العزبة المجاورة..

: هممم.. القصة الكلاسيكية للمهاجرين من مصر إذاً

ابتسمت في سخرية: بالضبط

: هل قابلتي ذلك الضابط مجدداً؟

تغير وجهها: لم تسأل؟

: أبداً.. أفتح مجالًا للحديث لا أكثر

"ريهام": طلب رقم هاتفي ولكنني لم أسمع صوته– جالت بعينها في البيت قليلاً- لا أر أية معدّات تصوير بعد.. أنا متشوقة لمشاهدة هذا الفيلم بالفعل.. أتدري؟ كنت أحلم بالتمثيل منذ أن كنت صغيرة..

ظلت تتحدث عن ذكريات طفولتها بشكل طبيعي جداً.. فإما بالفعل هي لا تتصنّع ذلك وكانت الفتاة الحمراء تلك من صنيع خيال عم "زمباع".. أو أنها بذلك الذكاء وتلك المهارة في التصنّع..

...

دخل عم "زمباع" فجأة وهو يقول: أستاذ "عميرة" هناك مصيبة..

نهضت "ريهام" وهي تعلّق الحقيبة فوق كتفها: سأعود لألقي نظرة على العمّال هناك واعتذر على ضياع وقتك..

حييتها ثم التفتّ لعم "زمباع": خيرا

نظر لي متعجباً: عمال؟ لا يوجد أحد في المنطقة كلها!

: أرجو أن ما ستخبرني به يستحق أن يمنعنا من اللحاق بها..

أخرج علبة السجائر من جيبه وهو يقول: اتبعني

...

لمّا وصلنا إلى مكان القبر المدفون فيه "وائل" وجدناه مفتوحاً..

فارغاً..

وهناك آثار أقدام تتجه للخارج..

...

جنّ الليل..

وبرزت النجوم تحدّق خلسة من خلفه..

وقد نام كل من لا يملك قوى سحرية وكل من لا يجلس بين أشخاص ظهروا من العدم..

..

تنحنح عم "زمباع" ثم قال: هل لي بسؤال؟

: تفضّل، ولكن اعلم بأنني لست في مزاج رائق للمزاح

قال: هل سينتهي الفيلم بحرق الكتاب واختفاء الوحوش –معذرة أنا في سنّ والدكم جميعاً- لأنني شاهدت تلك النهاية في أفلام كثيرة من قبل..

"أبو زيد": لقد بدأ يروق لي تفكير ذلك الرجل..

ابتسم عم "زمباع" في فخر قائلاً: اصنعوا نهاية جديدة حتى تبهروا المشاهدين

"أبو زيد": نحرق الورق؟ لماذا لم نجرّب هذا؟

"آرتميس": لو كانت علاقة الأشخاص بالأوراق حقيقية لاحترقوا معها إذا!!

"إدفن": ولو كانت العلاقة عكسيّة لأصبحوا من الخالدين

"بوليفيموس": إذا كنتم ستجرّبون هذا فأنا متبرّع

نظر "إدفن" إلى "بوليفيموس" في هدوء ثم قال: أين "ثينو"؟

"آرتميس": لقد اختفت منذ دخول الليل.. لا صوت لها ولا ظهور..

قلت وأنا أحكّ شعري الأشعث: تتحرك "ثينو" كالأشباح دومًا في صمت مقبض.. أرجو ألا تصيبني بنوبة قلبيّة فقط.. عدا ذلك، فلتتحرك كما تشاء..

"هنا"

قالتها "ثينو" بهدوء وهي تظهر لنا رويدًا رويدًا من الظلام..

"انظروا من وجدت"

صاح عم "زمباع": المرأة الحمراء.. هذه هي..

نهض "إدفن" في غضب: "ساكيوباس"؟!!!

"آرتميس": وليست أية "ساكيوباس".. إنها ملكتهم.. "ليليث"

...

كانت بالفعل "امرأة حمراء"!!!

هي كما وصفها عم "زمباع" بالضبط.. غير أنها لا تشبه "ريهام" فقط! بل هي أجمل منها بكثير على الرغم من القرنين اللذين يزينّان رأسها..

"أبو زيد" ولم يحرّك ساكناً: "ليليث" إذاً!!! لا عجب أن الضابط قُتل بذلك الشكل المهين..

نظر عم "زمباع" لنا جميعًا في غير فهم ثم اقترب منّي هامساً: هلّا تفهمني ماذا يقولون؟ أم أنكم بدأتم تصوير الفيلم فجأة وعلي أن أذهب..

: بالضبط.. لقد بدأ التصوير.. شكرًا على هذه الملحوظة الذكية الغير معتادة.. سأستأذنك أن تخرج من البيت وأن تغلق الباب خلفك في هدوء حتى لا تفسد المشهد..

...

نظرت "ليليث" بجانب عينها إلى "ثينو" التي تقيّدها بكفّ واحدة ثم قالت في سخرية: تستطيعين أن تتركيني الآن..

نظرت "ثينو" لـ " آرتميس" فأشارت لها أن تتركها..

جالت "ليليث" بعينيها السوداويين كالليل بيننا ثم قالت: أراكم متحفّزون جميعاً.. اهدؤوا، فأنا أعرف أنه من الغباء أن أحاول الهرب أمام أحدكم.. فما الحال وأنتم مجتمعون..

قلت في ضيق: لماذا قتلت الضابط؟

عقصت شعرها بكلتا يديها للخلف في دلال وقالت لهم: ألا يعرفني هذا الشخص؟

"آرتميس" دون أن تحيد النظر عنها: طبيعتها..

"أبو زيد": معذرة يا "ليليث" ولكنّنا سنستضيفك قليلًا هنا – ثم نظر لي- ألم تكن تريد أن ترى شيئًا يثبت لك أنّني "الهلالي"؟

لا أدرى كيف أصف ذلك.. ولكنّه قفز وانتزع بيد واحدة ثريّا حديدية من السقف احتاج تثبيتها في السقف لعدد مهول من المسامير ثم طحنها بيديه مشكّلًا قفصًا حديديًا ألقتها فيه "آرتميس" ثم أغلقه بذات الطريقة فصار كالعلبة لا باب له.. ثم دفن نصفه في الحائط كي لا يتحرّك.. وأنا أنظر له كالأبله غير مصدّق ما يحدث أمامي..

نظرت لي "آرتميس" في سخرية: "جحا"؟!!!

قالت "ثينو" لـ "ليليث": أراك لا تقاومين

"ليليث": لا حاجة لي.. فأنا لست بهذا الغباء كما ذكرت سلفاً..

دار "أبو زيد" برقبته يمينًا وشمالًا ثم قال: لحظة! إن وجودها هنا لهو مكيدة مدبّرة لنا جميعاً..

ضحكت "ليليث" من قلبها..

هذا إن كان لها قلب..

...

"طبول الحرب"

"أبو زيد": من المفترض أن "جلجامش" يحبّ "ليليث" وأنه ينقذها في القصة المعروفة عنه..

"آرتميس": إذًا مرحبًا به في أي وقت..

نظر "إدفن" إلى "بوليفيموس": سنضطر لتأجيل حرق الأوراق إذا لم تكن على عجل..

قلت وأنا أهمّ بالجلوس: قتلت "ليليث" الضابط لأن طبيعتها كأنثى شيطان هي أن تغوي الرجال وتقبض أرواحهم.. قواي غير معروفة بعد ولكنني على الأقل قد فهمت مصدرها.. نحن الآن ننتظر قدوم "جلجامش" ليحاول أن ينقذ هذه الحمراء العارية.. تبقى لنا الجثة المختفية، كيف أعيدكم وتعود حياتي إلى طبيعتها السابقة..

جلست "ليليث" متربّعة في قفصها الحديديّ ثم قالت: كلامكم صحيح، غير أنّ "جلجامش" لن يأتي طالبًا القتال..

التفتنا جميعًا لها في ذهول ثم قالت "آرتميس": هذا مستحيل.. لن تخدعيننا بهذه الكلمات..

عقدت ذراعيها الحمراوان وأغلقت جناحيها: أنتم لا تعرفون قدر ما أعرف هنا..

"ثينو": هات ما عندك..

"ليليث": عدوني بعدم الأذى أولاً

"آرتميس": لك هذا

تنهّدت "ليليث" ثم قالت: بدأ الأمر من ذات المكتبة بالأعلى.. والتي أظنّكم جميعًا تعرفونها جيّداً.. كان أول ظهور لنا منذ أكثر من ثلاثين عاماً..

تلفّتنا جميعًا ننظر لبعضنا في غير فهم.. فوقفت وهي تعقد ذراعيها مجدّداً: كان أخوك في نفس المكان عندما ظهرت.. يملك ذات القدرة على تحرير الأشخاص بمسحة من أصبعه.. فما أن رآني حتى اتسعت عيناه من الرعب وقفز فوق كرسيه.. كنت مرتبكة ولا أدري ماذا أفعل! ركضت خارجة من البيت بين الزروع الطويلة والأشجار حتى اختفيت عن ناظره.. ولكنّها طبيعتي كما تعلم.. ظهرت مجدّدًا في صورة امرأة ترغب في أن تشتري البيت والعزبة المجاورة.. أغريته وقبضت روحه ثم تواريت لمّا سمعت صوتًا يناديه من بعيد.. ولما اقترب جدّك ووجد حفيده في هذا الوضع، اتفق مع الحارس السابق لعم "زمباع" أن يدفناه كما هو خوفًا من الفضيحة وأن يذيعا أنه قتل في حادث سيارة أليم.. فعشت داخل الحديقة لسنوات بعيدًا عن الأنظار.. حتى دمدمها الخارجون من هنا..

انصرفت بناظري عنها وأنا أقول: أنت إذًا من قتله! وأنت أول من خرج من هنا منذ ثلاثين عاماً!

"ليليث": بالضبط

"أبو زيد": لعلّك تعرفين الطفلة إذاً!!!

"ثينو": هل هذه الطفلة هي "طنطل"؟

هزّت "ليليث" رأسها بالنفي ثم قالت: هي ألعن من "طنطل".. إنها "سعلوة"..

...

التفتّ لها مجدداً: أليس هذا حيوان؟

"ليليث": لا.. هي "ساكيوباس" مثلي تمامًا ولكنّها مشوّهة ومنفّرة لذلك تتخذ أشكالًا عدّة أكثر منّي..

"إدفن": إذاً، أنت تخفين جزءًا من جمالك بالتشبه بالبشر وهي تخفي قبحها بنفس الطريقة!

"ليليث": صحيح.. وهي تملك قدرات خارقة أخرى ومقززة، تأكل لحم البشر.. وللعلم! أنا لا أحبها.. هي حقودة وسوداء من الداخل..

"أبو زيد": معنى هذا أن هناك "طنطل" و"سعلوة" طليقان بالخارج؟

أرسلت لي "ليليث" قبلة في الهواء: والفضل لهذا الوسيم

نظرت لها في ضيق: أتسمحين بالكفّ عن التمايل ومحاولة إغراء الرجال هنا؟ نحن بصدد مصيبة أكبر منّا جميعًا مجتمعين.. "طنطل" و"سعلوة"!!!

"ليليث": إحم.. هي زوجته إذا أردت الدقّة في المعلومات..

: شكرًا لك.. أية إضافات؟

(طق طق طق)

فتح "أبو زيد" الباب فنظر مطولًا ثم عاد يقول: ناد على عم "زمباع" ليمثّل هذا المشهد..

نظرت له في غير فهم: أي مشهد؟ ادخل يا عم "زمباع"

وجدته يرتدي خوذة ضخمة، يمسك حربة بكلتا يديه وهو يقول بصوت خفيض: اسمح لي أن أظهر في هذا المشهد.. عندي جملة رائعة هنا..

قلت له في نفاد صبر: تفضل.. قلها..

خرج ثم دخل مجددًا وهو يصيح: فليتفضّل ملك الروم!

"أبو زيد": الروم؟ ملك الروم؟

دخل رجل بالفعل.. ضخم الجثّة، أجعد الشعر واللحية.. طويل القامة بشكل مهيب ويرتدي درعًا ذهبية..

مشى نحوي في خطوات بطيئة ثم قال لي بنبرة هادئة من صوت يصدر من بئر بعيد في حلقه: لولا أنني جئت في سلام، لدككت مبناك فوق رأسك قبل رجالك..

مددت يدي مصافحاً: "عميرة"..

اعتدل ناظرًا لها ثم لي: لن أغفر لك سلبك سلاحي وخوذتي قبل الدخول إليك..

قلت مرتبكاً: مـ.. من أخبرك أن تفعل هذا؟

قال: خادمك..

وأشار بأصبعه الغليظ إلى الشخص الوحيد المبتسم والذي يملؤه الفخر بيننا..

عم "زمباع"..

...

"أبو زيد": انتهى المشهد يا عم "زمباع".. أحسنت.. أعطه الخوذة والرمح قبل أن يطهيك فيها ويأكلك برمحه..

قال بوجه متجهّم: "جلجامش" ملك "أوروك" وسليل الآلهة..

نظرت لـ "أبو زيد" فقال: لن أضرب كفًا بكف فالأمر زاد عن حدّه كثيرًا وتخطى تلك المرحلة منذ فترة..

قالت "آرتميس" في هدوء: لا أظنّك تميّزني أو "بوليفيموس"؟

لم يتحرّك في وجهه الصخريّ هذا سوى مقلتا عينيه ثم قال: بالطبع لا.. من أنتما..

خرج عم "زمباع" حياً، سعيدًا لأنه سيظهر في التلفاز بعد أن كاد يقيم مجزرة لا بأس بها هنا.. فدعوته للجلوس والحديث برويّة وأن أقصّ عليه الأمر من البداية فرفض أن يستمع إلى كلمة واحدة إلا بعدما تخرج "ليليث".. وبالفعل، نزع الحديد بذات السهولة التي كونه بها "أبو زيد".. بين نظراتي الذاهلة وإحساسي بأنني يجب أن أعود إلى التمرين حتمًا بعدما ينتهي هذا السيرك المنصوب..

...

وأعدنا سرد الأحداث مجدداً..

منذ البداية..

وحتى تلك اللحظة..

...

كان يستمع وكأن على رأسه الطير.. لم يتحرك أو تتبدّل نظرته..

فقط، نظر لـ "آرتميس" قائلاً: من هاجمك هو "طنطل" ومن هاجم "بوليفيموس" هي "سعلوة" أو العكس إذاً.. أنا لست سعيدًا كوني بعيد عن مملكتي وشعبي.. سأساعد في البحث عن مخرج لهذا الأمر..

تنهّدت في أمل: عظيم، الآن نبحث عن الصينيين واليابانيين و"خارون"!

"جلجامش": أعرف مكانهم جميعًا عدا "خارون"..

"أبو زيد": عظيم، وأين هم إذاً؟

"جلجامش": في العزبة المجاورة التي كانت تدّعي "ليليث" دومًا أنه بيتها

قالت "ليليث" في مرح: لم أكذب

"آرتميس": لم يبق سوى "خارون"

قالت "ليليث": لن نجده لأنه ذهب مع "وائل"

سألتهًا متعجباً: "وائل"؟ أ.. أخي؟ ألم تقولي بأنك قتلتيه منذ قليل؟

"بوليفيموس": لقد أخرجت جثّته بيدي

"ليليث": ألم تدرك معنى اسم أخيك مثل جدّك؟.. اسم أخاك هو "وائل" وهو اسم عربيّ معناه..

قاطعها "أبو زيد" مصدوماً: معناه "العائد"..

...

"جلجامش": أظنّ "طنطل" و"سعلوة" و"خارون" مع "وائل" الآن

قلت في قلق: وماذا في ذلك؟ إذا فلنبحث عن "وائل"

"ليليث": الأمر ليس بتلك السهولة

"آرتميس": ماذا تعنين؟

"ليليث": يريد "وائل" أن يقطع رقبة هذا الوسيم لأنه الأخير.. ويريد "وائل" أن تستمرّ السلالة من بعده..

قلت بانفعال: يقتلني؟ يقتلني حتى تستمر السلالة؟ هو عائد من الموت ليقتلني؟

"ليليث": بل ويريد أن يدعمها بـ "طنطل" و"سعلوة" لأنهما قوتان لا يستهان بهما..

"جلجامش": يرى "وائل" أنه على حقّ إذًا لأنك ملعون في نظره وهو بعث من جديد لسبب ما..

"أبو زيد": هذا أسوأ ما في الأمر.. أنه يظنّ بأنّه على حق..

"إدفن": لو كان يطلب حرباً، فله ما شاء..

"أبو زيد": لا تستهن بـ "طنطل" و"سعلوة".. إنهما يستطيعان أن يتشكّلا في صورة جيوش من الجنّ تحاربنا ونحن لا نراهم..

"ليليث": حينها سأحارب وحدي لأنني الوحيدة القادرة على الاختفاء على حد علمي..

: كلما ظننت بأن الأمور اتضحت.. أجدها تتضح عن كوارث لا قبل لي بها..

"أبو زيد": لحظة! لماذا كانت "سعلوة" تظهر لنا في صورة الطفلة؟

"ليليث": معروف عن "طنطل" و"سعلوة" أنهما يتلاعبان بضحاياهما بتلك الطريقة.. حتى أنهما كادا يشعلان قتالًا لا أصل له بينكم وبين "جلجامش"..

"آرتميس": ولم؟

"ليليث": لا يحبان دومًا خوض نزالاتهما بنفسيهما.. هم يدفعان العالم لينهي على بعضه بعضاً..

"ثينو": لماذا حضرتما بتلك التمثيلية المزرية؟

"جلجامش": أظهرنا لهم أننا بالفعل بدأنا المناوشات.. نحن وأنتم..

"آرتميس": وما يضمن لنا أنهما غير موجودين بيننا ونحن لا نراهما؟

"ليليث": أنا قادرة على كشفهما..

"ثينو": وما يدرينا أنكما لا تتلاعبان بنا؟

"جلجامش": لا أظنّ ملامحي هي ملامح شخص يتلاعب بأحد..

"ثينو": لماذا لم تحضر الصينيين واليابانيين إذاً؟

"جلجامش": لأنهم قادمون بعد دقائق لبدء المعركة معكم..

"ليليث": هذا صحيح، فهم الصفّ الأول لـ "وائل" في المعركة

...

"أبو زيد": لم نعرف ما كانت قصة الأطفال تلك حتى الآن

"ليليث": أنا واثقة أنه "طنطل"

"آرتميس": ولم قد يفعل هذا؟

"ليليث": حتى يلهكم.. وقد نجح بالفعل

"إدفن": يلهنا؟

"ليليث": هناك أماكن خالية في يسار المكتبة.. أفترض بأنها كانت ممتلئة بالكتب أيضا!

"أبو زيد": لم يلحظ أحدنا ذلك إذا كان ما تقولينه صحيحاً

درت بعيني بينهم ثم انطلقت إلى المكتبة تاركًا إياهم ينظرون لي.. ثم تبعتني "آرتميس" ومن بعدها "أبو زيد"..

"آرتميس": وكيف نعرف الآن صحة الحديث من عدمه؟ جميع الكتب الآن رأسًا على عقب

"أبو زيد": لا يسعنا إلا أن نصنّف الكتب تبعًا للتخصص ولنحكم بعدها على صعوبة الموقف من استحالته

: صعوبة واستحالة؟ لا سهولة؟

تنهّد "أبو زيد" وهو ينحني ليلتقط أول كتاب: ونحن على أعتاب معركة ما مثلما قال "جلجامش"؟ لا أظنّ

"آرتميس": أظننا نحتاج كل يد بالأسفل لتساعدنا مع هذا الكمّ

"أبو زيد": ليس الجميع.. نحتاج لأن يبقى البعض هناك في حال أتى أحد ما

عندما وقف "أبو زيد" أعلى الدرج يخبرهم بأننا نحتاج يد العون لتصنيف الكتب، نهره "إدفن" قائلًا إن هذا ليس وقته أبدًا في حين قالت "ليليث": لا حاجة للبحث.. جميع الكتب الناقصة هي من الجانب الأسيويّ.. "اليابان" لو لم أكن مخطئة.. –ثم رفعت خصلة من فوق عينها- والولايات المتّحدة..

تنهّت للكلمة: الولايات المتّحدة؟ هل هناك ميثولوجيا في الولايات المتّحدة؟

نهضت خارجًا من غرفة المكتبة أنظر لهم من الأعلى: أظننا نملك فكرة ما عمّا سنواجهه

...

جلسوا متحلّقين حولي كالطلبة المهذّبين.. عدا تلك المغازلة الحمراء التي ترسل القبلات في الهواء وتضحك بين الفينة والفينة..

قلت: لو كانت هناك ميثولوجيا من الولايات المتّحدة فهي في الغالب لن تتخطى بحال حيوانات الغاب أو أشباح خزانات الملابس..

"جلجامش": هل أنت واثق مما تقول أيها الشاب؟

رفعت نظارتي التي تنزلق دوماً: لا.. ولكن هذه هي المعلومات العامّة التي نملكها هي في "مصر".. أن الولايات المتحدة لا تملك فلكلورًا أو تاريخًا طويلًا مليء بالمرعبين والآلهة..

"إدفن": وماذا عن الآسيوية؟

تنهّدت في يأس: تخيّلوا أسوأ كوابيسكم وأطلقوا لخيالكم العنان..

...

سمعنا جلبة بالخارج فقال "أبو زيد": لو كانت هذه هي البداية فلينظر أحدكم إلى ندّه الذي يستطيع قتاله.. فلا أستطيع أنا أو "جلجامش" أن نضع خطّة محكمة لأننا نجهل قدراتكم المطلقة ونجهل ما قد نواجهه..

طرق الباب..

نهض "أبو زيد" وهو يقول: هل يستأذن الآسيويون عادة قبل القتال؟

فتح الباب فإذا به عم "زمباع" يصيح: لقد جاءت سلاحف النينجا يا أستاذ "عميرة" فركضت أخبرك فور أن رأيتهم يأتون من بعيد..

خلعت النظارة أنظفها وقلت في ملل: تعال يا عم "زمباع".. ادخل..

التفت عم "زمباع" إلى "ليليث": ارتدي شيئًا يسترك يا بنيتي.. أنا في سنّ والدك وأنصحك..

قلت في نفاد صبر: انتبه لي قليلًا أرجوك.. ماذا رأيت

لم يعيرني انتباهه وظل يحدثها: أو ستصابين بأنفلونزا حادة.. أنت أيضًا لا تعلمين شيئًا عن الناموس هنا في هذا الوقت من العام.. قاااتل..

نهضت مواجهًا له في نفاد صبر: ماذا تريد؟

نظر إلى "ثينو": وأنت أيضاً.. -ثم نظر لي- جاءت سلاحف النينجا من بعيد ولكنهم ليسوا أربعة.. إنهم كثيرون ولا أرى معهم المعلّم "رشدان".. هل أقوم أنا بهذا الدور؟ لن أتقاضى أجـ..

فجأة، وجدته معلّقًا من قفاه في قبضة "أبو زيد" وهو يتحدّث في غضب لأول مرة: تعال معي وأرني ماذا رأيت..

بمجرد أن فتحا الباب، ألقى "أبو زيد" عم "زمباع" من قبضته وقال: هل يميل أحدكم إلى قتل أطفال خضرٍ في هيئة سلاحف؟

نهض "إدفن" مطقطقًا عنقه: أفسح لي المجال..

نهضنا جميعًا خلفه ننظر له وهو يركض كدبّابّة بشريّة مستعدة لكسح المباني، لا مجرد هذه الكائنات الخضراء القصيرة..

كان الموقف عجيبًا بحقّ..

هي كائنات بالفعل، أشبه بالسلاحف كما قال عم "زمباع" إلا أنهم أقصر قامة، أشبه بالإنسان، يقفزون في توحّش على "إدفن" ينهشون لحمه حيًا وهو يقاتل ببراعة ويسحقهم في سرعة أعجزتني عن ملاحقة عدد ضحاياه..

نظرت لهم جميعًا يقفون حولي: ألن يساعد أحدكم ذلك الرجل؟

"أبو زيد": نحن لا نعلم ما نواجهه.. قد يكون هذا فخًا لنا جميعاً.. ونحن كما تعلم، نريد أن يعود كل منّا إلى مكانه وزمانه في هدوء لا أن نقتل هنا..

ظلّ "إدفن" يسحق رؤوسهم بقبضتيه معًا وقدميه.. والجثث تتطاير من حوله في حين أنه لم ينهك أو يملّ.. ظللت مدهوشًا من شجاعته وجرأته أن ينطلق دون تفكير في وضع كهذا دونما أن يلتقط أيّ سلاح وكأنه يلعب..

ولكنها تبدو لعبة قاسية..

...

"أبو زيد": لم قد يتخذ "طنطل" أو "سعلوة" ذلك الشكل للقتال؟ أقزام خضراء؟

وضعت "ليليث" يدها فوق خاصرتها في دلال وقالت: هذا عدد من الـ "كابا".. شخصيات من الفولكلور الياباني..

"أبو زيد": كيف تعرفين كل تلك المعلومات؟

"ليليث": أنا أول مخلوق أسطوري كما وصفتني تلك الكتب بالأعلى..

قلت: أليس من الأفضل أن يساعده أحدكم؟ الوضع لا يبشّر بخير هناك.. إنهم كثر وينهشون لحمه..

"جلجامش": لا يزال يقاتل جيداً

"ثينو": من للقادم هناك؟

نظرنا جميعًا فإذا بعملاق يتخطّى طوله الستة أمتار يسير ببطء نحونا..

يكشف جذعه العار عن آدميّ تبرز عظامه من تحت جلده وتبرز في شكل قرون فوق رأسه في حين يمثّل نصفه السفلي نصف حيوان ما..

تقدّم "بوليفيموس" بخطى بطيئة قائلاً: العملاق للعملاق.. عادل كفاية..

ثم ركض يحفر الأرض بقدميه حتى انقضّ قافزًا على رقبته فسقطا سويًا وسط كومة من التراب غطّت الـ "كابا" و"إدفن"..

ظللت أسعل وأنا أقول: وهذا؟ ما هذا؟ لا يبدو يابانيًّا في رأيي

"ليليث": "كي-واكو"

قلت وأنا أحاول أن أمنع المزيد من الغبار من الدخول في فمي: يبدو الآن يابانيّاً

"ليليث": ليس يابانيّاً

قلت وأنا ما زلت أسعل: هلا تخبرينني من فضلك ما هذا؟ أنا لن أتزوّجه

"ليليث": هو أحد شخصيات فولكلور الولايات المتّحدة

نظر لي "أبو زيد": حيوانات غابة ما أو أشباح في خزانة ملابس؟ لقد جاءت الغابة بنفسها في هيئة عملاق..

"ثينو": نحن لا نرى شيئًا مما يحدث هناك.. لقد غطّى الغبار كل شيء..

"جلجامش": هناك شيء ضخم قادم..

تلفتّ حولي: أين؟

أشارت "ثينو" بيدها: هناك

كانت رأس حيوان زاحف تظهر خلف الغبار من بعيد بين السيلويت العنيف لمعركة "إدفن" التي لا تنتهي وبين صياح "بوليفيموس" و"كي-واكو"..

ثم بدأت تطلّ رأس تنّين بشع من أعلى الغبار..

رفعت "ثينو" رأسها قائلة: الشخصيات التي يرسلها "وائل" مقصودة أن تكون من نفس جنسنا ولكنها أضخم..

عقدت "ليليث" ذراعيها: "ياماتا-نو-أوروشي"؟ -ثم نظرت لي- لو يقصد تدمير المدينة، ما أرسل هذا..

قلت في توتر بالغ وأنا أمسح التراب من لساني: لماذا؟ ما هذا السوشي؟

"ليليث": تنّين ذو ثمانية رؤوس وثماني ذيول..

بعدما انطلقت "ثينو" بثانية واحدة، نزع "جلجامش" سيفه قائلاً: لن تنجو وحدها من هذا الشيء..

ثم ركض جنبًا إلى جنب مع "ثينو"..

...

"أبو زيد": أظنّ دوري قد حان؟

قلت في قلق: دورك؟

"أبو زيد": "إدفن" يتهاوى –ثم استلّ سيفه وركض فجأة- سألحق به

نظرت حولي فلم أجد سوى "آرتميس" و"ليليث"..

...

الغبار يملأ المكان والصيحات تتعالى..

وانقسم المشهد الواحد إلى ثلاث مشاهد دمويّة لا أراها بذلك القرب أبداً..

...

يحارب "إدفن" الـ"كابا" وهو على ظهره بطرف واحد هو ذراعه اليمني في حين تملأ الساحة من حوله مئات الجثث المسحوقة..

يقتل "أبو زيد" الـ "كابا" كالناموس حوله في سرعة البرق حتى أنهم أبطأ من أن يقضموا منه شيئاً

...

فقد التنين عددًا من رؤوسه وذيوله في هذه الدقائق المعدودة ولكنّه يحكم الذيلين الباقيين على "ثينو" في حين أنّه يفشل في التقاط "جلجامش" بين أنيابه..

...

لا يزال "بوليفيموس" يقبع فوق "كي-واكو" في كومة من الغبار يتوسطها صراخ كليهما وأصوات عديدة لعظام تتحطم.

...

"ليليث": ألم يحن الوقت بعد لتعرف أيّ قوة تمتلكها؟

قلت في يأس: لا أشعر بأية قوى من أي نوع.. إن ظهري لا يزال يؤلمني منذ أن سقطت من..

قاطعتنا "آرتميس" قائلة: صه.. هناك صيحات بعيدة تقترب..

"ليليث": دعاني أخمّن.. الساموراي السبعة والأربعون والصينيون العشرة؟

قلت: أنا أعرف عن السبعة وأربعون ساموراي.. أما الصينيون العشرة، فهذه أول مرة أسمع عنهم

"ليليث": هم عشرة إخوة، لكل منهم قوة مختلفة.. منهم حادّ الذكاء، منهم من له القدرة على الاختفاء، منهم من يستطيع أن يمدّد جسمه ليصبح عملاقاً، منم من يطير، منهم يسير تحت الأرض، أحدهم ذو قوة خارقة كـ "أبو زيد"، أحدهم حادّ السمع، هناك من هو حادّ البصر، هناك من يبتلع الرياح أو أن يقتلك بصوته فقط

"آرتميس": هؤلاء تسعة

"ليليث": أوه، نسيت.. العاشر هو أصغرهم.. يشفي بكاؤه الجرحى والمصابين.. فإذا كنا سنقاتلهم سوياً.. فابدأي بأصغرهم الباكي..

"آرتميس": ها قد حضروا –ثم نظرت لي- أرجو أن تكتشف قدراتك سريعًا لأن الأمور تسوء هنا..

كنت أقف وحيدًا أنظر إلى ما يدور أمامي، عاجزًا غير مصدّق ما يجري..

انتبهت إلى شخص يقف جواري فالتفتّ له: عم "زمباع"؟ أين كنت؟

وضع عم "زمباع" السيجارة في فمه: هذه تأثيرات ممتازة.. تبدو حقيقية جداً

صحت فيه في غضب: أين كنت؟

ردّ في هدوء: كنت أبتاع هذه الحشيشة.. أتظنّني أحرسكم طوال الليل دونها؟

نظرت لأطنان الغبار في الهواء يتخللها سيلويت معارك أسطورية تهتزّ لها الأرض: ليتك تبقى بحشيشتك داخل البيت حتى ينتهي الـ.. هذا

التفت له قائلاً: من أين دخلت؟ العزبة كله مليئة بالجثث والـ.. الـ.. من أين دخلت؟

عم "زمباع": من باب المطبخ الصغير في الخلف.. لما رأيت التصوير قد بدأ من بعيد من فوق دراجتي.. لم أشأ أن أفسد التصوير بمروري..

ثم دلف إلى الداخل وأنا أنظر لما يحدث أمامي راجيًا أن يخرج الجميع من هذا الغبار بسلام..

...

تنبّهت إلى شيء مستدير يهوي فوق كالقذيفة من بعيد..

بالكاد قفزت جانب القذيفة ببضع خطوات..

ثم نظرت لها في صدمة كادت تقتلني..

هذه لم تكن قذيفة..

هذه..

رأس "بوليفيموس"..

...

(الملعون)

كنت أحدّق في عين "بوليفيموس" التي تحدّق بدورها في وجهي..

لكن دونما حياة..

...

وتدور المعارك طاحنة بالقرب من عيناي اللتان تتسعان ذهولاً..

يتطاير الغبار أمام وجهي وعيناي لا تطرفان من مشهد تلك الرأس أمامي..

شرر المعادن ينير السماء والصراخ يقطع الصمت..

عظام تُسحق ودماء تسيل..

أشلاء تتطاير..

وأنا جالس..

فقط،

أحدّق في "بوليفيموس"..

كيف قُتل بتلك السهولة؟

لقد انقضّ على العملاق وأسقطه في حركة واحدة!!!

...

رفعت رأسي للظل الذي يظهر لي ببطء..

هو عملاق ثالث هنا!!!

يحمل عصا غليظة على كتفه ويسير في خيلاء..

لم أتحرك من مكاني قيد أنملة، بل ظللت أحدّق في ظله الذي يتضح لي شيئًا فشيئاً..

ولما ظهر لي اتسعت عيناي أكثر فأكثر..

كيف نسينا هذا العملاق؟

لقد ظهر على حين غفلة من الجميع وحصد رأس "بوليفيموس" مستغلًا رقوده فوق "كي-واكو"

كيف نسينا "خارون"؟

...

لما تلاقت عيناي مع ذلك العجوز العملاق، توقّف مكانه..

وبغير أدنى تعبير، تراجع لكومة الغبار وهو ينظر لي مبتسماً..

لم يكن يريدني إذاً؟..

إنّه يتّجه ناحية التنين ذو الثماني رؤوس!!!

اللعنة..

"جلجامش" و"ثينو"

...

نهضت من مكاني فزعاً، أحاول أن أقتحم كومة الغبار تلك بصعوبة بالغة..

دفعني "أبو زيد" بعيدًا ثم التقط الـ "كابا" القافزون علي فوجدتني تحت أرجل شخص يابانيّ يرفع سيفه..

جذبتني "آرتميس" من ملابسي ودفعتني للوراء وهي تصيح: عُد الآن أيها الغبي.. ماذا تفعل؟

صحت في توتر: "خارون"، "خارون" هنا

جذبتني "ليليث" من ذراعي فهوى سيف آخر على الأرض كان يقصدني: عُد الآن يا "عميرة" سنتولى أمره

...

كنت مدهوشا، يتلقفونني في بطولة وتضحية واضحة وأنا متسع العينين، أفكّر فيما عليّ أن أفعل

كانت الـ "كابا" تطير من فوقي أشلاء كقطع القماش البالية..

نظرت فوقي فإذا "أبو زيد" قد وضعني خلفه وهو يمزق أحشاءهم بيديه المجرّدتين..

تباً! كيف كان حليمًا على هذا الشخص عندما نعتّه بـ "جحا"؟

حق لهؤلاء الأشخاص أن يخلّدهم التاريخ ولو في صورة أساطير..

...

شرعت أنظر لأعلى وقد لطخّت دماء الـ"كابا" وجهي وملابسي وأنا أفكّر في أية طريقة لمساعدتهم.. حتى اهتديت إلى أن أعود إلى المكتبة وأخرج المزيد والمزيد من الأساطير لتقف جنبًا إلى جنب ضد هذه الكوارث التي أرسلها "وائل"..

زحفت عائدًا فنادى "أبو زيد": إلى أين أنت ذاهب؟

نظرت إلى جذعه المليء بالعضلات والجروح بعد أن تقطّعت ملابسه وتحطّم درعه.. ثم نظرت له وأنا أصيح: سأعود إلى البيت، عندي فكرة

قال وهو ينزع "كابا" من رقبته: أسرع إذاً

...

زحفت بطيئًا حتى شعرت أنني في أمان ثم نهضت وأنا أركض متعثرًا تجاه البيت..

صاح "أبو زيد": احذر

نظرت فوقي، فإذا بقذيفة تهوى تجاه البيت..

ولم تكن قذيفة للأسف..

كانت رأس "ثينو"

صحت: "أبو زيد"، سقطت "ثينو" و"بوليفيموس"

لم يسمعني "أبو زيد" بين تلك الـ"كابا" التي تنهشه وهو يسحقها..

...

التفتّ إلى صوت "التنين" يخور ويسقط ميّتًا فوق جثّة "كي-واكو" فملأ المكان بالغبار مجدداً..

ثم، صرخة من مكان "آرتميس" و"ليليث"..

لمن منهما تلك الصرخة وماذا حدث؟

...

لا أعرف ماذا دهاني وأنا لم أهتم سوى لـ"أبو زيد" وكأنّه صديق حميم تربّيت معه..

ظللت أصيح باسمه.. ثم أخذتني الجرأة للركض تجاهه عسى أن أساعده بأي شكل..

كان الغبار عنيفًا يدفعني يمنة ويسرة وأنا متجّه له..

بدأ يتضّح لي من خلف الغبار وتغطّيه الـ"كابا"..

ولكن فجأة، ركلتني "ليليث" فسقطت بعيدًا عن رجل يابانيّ آخر ولكن استقرّ سيفه في جناحها فصرخت ألماً..

نهضت أركله وأضربه، ولكنه كان أقوى منّي فنزع سيفه من جناحها وهوى به نحوي..

لم أشعر سوى بشيء ساخن في يدي.. ثم رأيت "ليليث" تغرس قرنها في رقبته وهي تسبّني حتى أعود..

نظرت في يدي فإذا بذاك الرجل قد قطع أربعة أنامل من كفّي اليمنى الملعونة..

نهضت مترنّحًا أضغط على يدي وأنا في حيرة من أمري.. أأعود وأحاول أن أخرج أساطير أخرى؟ أم أبقى وأحاول كما أنا لعلّي أفعل شيئًا أو لعل قوّتي تظهر فجأة..

...

اصطدمت بجسد "خارون" الضخم يقف أمامي مبتسمًا وله عين تسيل منها الدماء..

ألقى فأسه على الأرض بجواري دون أن يطرف..

نظرت رويدًا إلى الفأس فوجدت نهايتها هي رأس "جلجامش"..

...

نزع "خارون" الفأس مجددًا ثم انصرف تجاه "آرتميس" و"ليليث" هنا..

خرج "أبو زيد" ملطخًا بالدماء ويلهث قائلاً: لقد كان "إدفن" بطلًا بحقّ..

..

قلت في توتر: "خارون" عند "آرتميس" و"ليليث".. ساعدهما

نظر إلى جثة "جلجامش" جواري: ناولني سيفه..

ما أن التقط السيف حتى ركض في غضب يحصد رقاب الساموراي ويهشم دروعهم بقبضته..

وهدأ الغبار شيئًا فشيئًا حتى بدأت أتبيّن المكان حولي..

رأس "بوليفيموس"، رأس "ثينو"، جثة "جلجامش" و"إدفن"، جثة التنين ملقاة فوق عملاق الغاب، أكثر من ألفي جثة لـ "كابا"، جثث الساموراي السبعة والأربعين..

يتهاوى العشرة إخوة ببطء ولكنهم يتهاوون على الأقل..

عادت "ليليث" مترنّحة وظهرها يقطر دمًا أسودًا بغزارة..

ويفتقد ظهرها لجناحين كبيرين..

ألقت بجسدها الأحمر جواري من الإنهاك وهي تنظر لـ "جلجامش": قُتلت أيها اللعين؟ تبًا لك.. اعتدلت في جلستها ورفعت رأسها لي: لا أظنّك بحاجة لقدرتك بعد الآن.. لقد انتهى الأمر..

نظرت إلى يدي فوجدتني قد لففتها بقميصي وهو مليء بالدماء: ألم أقل لك أنك غبي؟

رفعت رأسي فوجدت "أبو زيد" يحمل "آرتميس" وينيمها بجوار "جلجامش" ثم جلس إلى جوارها يلهث: لقد كان ذلك مريعاً..

"ليليث": لم يبق سوانا

"أبو زيد": لو تركتني هذه الحمقاء أقتل "خارون" بدلًا منها ما حدث لها ذلك

: لم أستطع عمل شيء.. بل زاد فوقه أنني أصبت

فجأة، دوّى صوت عنيف في أرجاء البيت ووجدنا عم "زمباع" يركض خارجًا وهو يصرخ: أنجدوني من هذا المجنون

ثم مرّ من بيننا ونحن ننظر للبيت يتهاوي عن بكرة أبيه..

غبار كثير وتراب علا لأمتار فوق الأرض فوقف ثلاثتنا ننظر لهذا المشهد المهيب..

...

عندما هدأ الغبار..

خرج من خلفه شاب وفتاتان..

كان الشاب هو "وائل"، ويبدو سعيدًا إلى حدّ ما.. أما الفتاتان، فلم أعرفهما..

اقتربوا في هدوء ثم قال "وائل": دومًا ما ينتصر الخير.. استسلم لقدرك يا"عميرة".. يجب أن تحيا سلالتنا بسلام.. وإذا قاومت، فلم تكن تلك سوى مقدمة لما أستطيع أن أفعله.. -ثم نظر للفتاتين جواره- أقدّم لك "كابو" و"بايلي"

نظرت و"أبو زيد" إلى "ليليث" فقالت بيأس: "كابو" زعيمة السحر الأسود.. و"بايلي" –ثم خفضت رأسها في إرهاق- إلهة البراكين..

...

"وائل": لقد أقحمت أساطير ليس لهم أي ذنب أن يُقتلوا بذلك الشكل..

قلت في تردد: لـ.. لقد كنت أريد أن أعيدهم فقط حيثما كـ..

قال مقاطعاً: انظر لكمّ الدماء الذي أريق بسببك!.. كيف ستحيا بهذه الدماء كلها في رقبتك؟ ألا تخجل من نفسك؟ جعلت "أبو زيد

الهلالي" يقاتل في صف شخص ملعون يريد أن يُنهي بأنانيته وحبّه للحياة، سلالة عريقة قويّة تستطيع بقوّتها أن تحمي الأرض ومن عليها؟

نظرت لهم خجلاً: و.. ولكنني لم أق..

"وائل": ألا تعرف مقدار قوة سلالتنا؟ ألا تعرف بأننا نستطيع أن نمنع الصراعات في الأرض إذا ما ظهر بيننا شخص يملك القوة لذلك؟ أو تعلم كيف سيكون حال الفقراء إذا ما ولد شخص له أضعاف قدرة أبيك؟.. و"آرتميس"؟ قتلت بأنانيتك هذه الإلهة المقدّسة عبثاً؟ ثم انظر إلى من يقف إلى جوارك.. "ثينو" الملعونة واخت "ميدوسا" الخاطئة؟.. "ليليث"؟ أول "ساكيوباس" خلقت؟ طريدة الجنّة وحليفة الشيطان؟ تلك المرأة الملعونة التي رفضت دور "حواء" أم البشر وانطلقت تحقق نزواتها مع "إبليس"؟.. "بوليفيموس"؟ هذا الطريد الملعون الذي تبرأ منه "زيوس" وحتى أخوه "هرقل" الذي يضرب به المثل في الشجاعة والقوة والإقدام قد تبرأ منه لأنه يأكل البشر، يأكل بني جنسك أيها الأبله.. "جلجامش"؟ أتمزح؟ حاكم "يوروك" الظالم؟ عدو الآلهة؟..

نظرت حولي في أسى لا أدر ما أقول..

نهضت ودرت برأسي في الأرض الممتلئة بالجثث والمخضّبة بالدماء..

قلت في تردد: مـ. ماذا تريد أن تفعل الآن؟

"وائل": تتوقف حياة أحدنا على موت الآخر..

: تقـ. تقصد كالإعدام؟

"وائل": وسيكون رحيماً

...

نهض "أبو زيد" متجهًا إلى "وائل".. وقف أمامه ثم قال: ولماذا لا تكون أنت مصدر الأنانية وحفاظك على السلالة هو حجّة تريد أن تعود بها إلى متع الحياة؟

"ليليث": لتعلم أنه لم يختر أحدنا حتى يقف في صفّه.. بل نحن من وقفنا في صفّه من البداية..

"وائل": أراكما تحاولان إشعال معركة قد انطفأت بالفعل وصارت رماداً.. ألست تقف في جانب الخير دومًا يا"أبو زيد"؟ ماذا حدث لك؟

نظر له "أبو زيد" في غضب لمعت له عيناه: لي عقل أحكّمه أيها الأبله

ترجرجت فجأة كومة من التراب جوارنا وبدأت تبرز شخصًا من تحتها..

نظرنا جميعًا إلى تلك الكومة فإذا بها تتشكّل على هيئة شخص نعرف..

إنّه جدّنا..

"زيناس"..

اقترب ببطء منّا جميعًا ورفع عيناه فينا قائلاً: كان "هوميروس" محقًا بشأن قوة اللعنة في يمين نسله.. لقد لعن "الكايميرا" كل من لمسه.. سيحارب الخير إلى صفّ الشرّ رغمًا عنه ظنًّا منه أنه الخير وسيدافع "الكايميرا" عن نفسه ظانًّا نفسه أنه الحقّ.. لقد اختلّ الميزان كما أخبرني "هوميروس"..

"وائل": ولكن، كيف جئت إلى هنا يا جدّي

"زيناس": لم أصبر على رؤية قدرة "الكايميرا".. ولم يسمح لي القدر بأن أتوقّف سوى هنا.. فالتنقل بالزمن ليس مطلقاً.. هو خاضع للقدر كحياتنا وحاضرنا.. احذر يا"وائل" ولا تستهن به..

ثم اختفى..

نظر لي "وائل": الآن فهمت لم يقف "أبو زيد" في صفّك.. لقد أخرجت "أبو زيد" ملعونًا مثلك من بين الصفحات، لا "أبو زيد" الذي يرى الحقّ كما هو.. سحقًا لك..

"أبو زيد": لا يعنيني حرفًا مما قلت.. سأدافع عن هذا الشخص حتى أهلك أو تهلك أنت.. ولو كنت أنا ملعونًا فسأصبّ لعناتي كلها على رأسك بعد لحظات..

"وائل": كما تشاء.. ولكن، لم تقل أنني لم أنذرك..

فور أن تحرّكت "كابو"، انقضّ عليها "أبو زيد" وحلق بها مسافة تبعد عن الخمسين مترًا من مكانها في حين ضربت "بايلي" الأرض بكفها فبدأت تفجّر البراكين كالألغام تحت أرجلنا ونحن نركض أنا و"ليليث"..

كنا نقفز من فوق الجثث التي تنفجر من تحتها ألغام الحمم فتذيبها وننجو بالكاد بحياتنا..

..

سقطت "ليليث" على وجهها عندما انفجرت الأرض بالقرب منها وسقط جوارها بدوري غارقًا في دمائي..

كنت أنظر لها في شفقة ثم اعتذرت لها وأغمضت عيني استعدادًا للضربة التالية..

ولكنها لم تأت..

فتحت عيناي فإذا دمائي تخالط دماء "ليليث" وتغلي فوق الأرض.. وتسقط الحمم فوقنا كالماء البارد لا تضرّنا..

نظرت لي "ليليث" فاتحة عيناها في اندهاش ثم قالت: ضع قبضتك المدماة في ظهري المجروح إذاً

وما أن وضعت يميني على ظهرها، إذا بها تلتوي وتصرخ وتتفكك عظامها حتى صارت في ثوان معدودة وحش ضخم بارتفاع أربعة أمتار وطول أكثر من ثمانية أمتار غاضب تنفث أحد رؤوسه النار في حين يزأر آخر ويخور الثالث..

لقد حوّلت يدي الملعونة تلك الشيطانة الحمراء إلى "كايميرا" حيّة..

وأنا على ظهرها..

...

فزعت "بايلي" وظلّت تبتعد وهي تطلق سيلًا من الحمم الغير مجدية على الإطلاق..

كانت "كايميرا" تقترب في غضب ولم تبد أيّة هجوم بعد..

ركض "وائل" إلى حطام البيت يفتّش عن أي كتاب ينقذه.. فتهلل وجهه لما رأى الطفلة تقف فوق البيت..

كانت قدما "كايميرا" تغوص في الحمم في حين أنها تقترب من الطفلة في غضب هي الأخرى..

ثم التقطت رقبة الكبش "بايلي" بين أسنانها وشرعت تمضغها في وحشية بينما يزأر الأسد في وجه الطفلة التي لا تحرّك ساكناً..

صاح "أبو زيد": هنا

كانت "كابو" تبارز "أبو زيد" بفرسان مدرعين عمالقة وهو يقاتلهم بيديه المجردتين وليس في جسده موضعًا إلا وفيه جرحًا بالغاً..

اشتعلت رأس التنين غضبًا ثم انطلقت تحرق الفرسان وتطارد "كابو" حتى التقطتها بين أنيابها..

تحوّلت الطفلة إلى امرأة مشوّهة وظهر بجانبها كائن أشبه بالإنسان الخشبيّ ولكنه كئيب المنظر، نحيف البنية..

هما "سعلوة" و"طنطل" إذاً!

...

تحوّلت "سعلوة" إلى "بيجاسوس" – الحصان المقدّس في الميثولوجيا اليونانيّة – بينما تحوّل "طنطل" إلى "بيليروفون" –قاتل الـ"كايميرا" الشهير وقاهر الوحوش..

لم يكن ذلك وقتًا للتراجع أو للتفكير..

قد يظهر "طنطل" كـ "بيليروفون" وقد تظهر "سعلوة" كـ "بيجاسوس" ولكنّني من يمتلك قوى "كايميرا" تتمثل في ابنة الجحيم الحمراء تلك..

أمطرنا الفارس بسهامه وحرابه حتى أسقطني من فوقها ولكنها ظلت تقاتل بشراسة وعنف أسقطت بهما "بيليروفون" و"بيجاسوس" أرضاً..

كان من العجيب أن يتراجع "طنطل" و"سعلوة" بتلك السرعة وأن يتحولا إلى صورتهما الأصلية..

نظر لهما "وائل" في غضب: ماذا حدث؟ اقتلا هذا الشيء اللعين

رفع "طنطل" رأسه في ضيق: لسنا ندًا لذلك..

ثم اختفيا تاركان "وائل" وحيدًا يتلفّت حوله في رعب..

في حين تقترب "كايميرا" منه بالثلاثة رؤوس في غضب واضح..

نظرت له قائلاً: إذا كان موت أحدنا يتوقف على حياة الآخر.. فلتنته السلالة إذا..

مالت رأس الأسد إليه في هدوء ثم التقطته في غلّ لم يبق منه شيئاً..

...

(سكون)

رأيت الشمس تشرق من خلف الأبخرة التي خلفتها الحمم..

لقد انصهرت جميع الجثث فشكرًا "بايلي"..

حتى أن جثة "أبو زيد" قد انصهرت قبل أن أودعه..

وكأنه قصد أن يختفي دون أن يترك لي فرصة أن أراه للمرة الأخيرة..

وكأنني بالشمس تسألني عن الذين تركتهم معي بالأمس، أين ذهبوا؟

...

جلست "ليليث" إلى جواري في صمت وهي تلتحف بملاءة "آرتميس" وتحدق في الشروق هي الأخرى..

قلت لها وأنا لا أنفك أنظر للنهار الوليد أمامي: كنت مهتم أن أسألك عن أصل لعنتك ولكن، أتعلمين؟ لا يهم..

"ليليث": لن تفيد معرفة لعنتي في شيء.. ذكرني التاريخ بأنني زوجة "آدم" الأولى التي تركته وانصرفت للشيطان.. ثم ذكرني بأنني مجرد "ساكيوباس".. ثم بومة نائحة.. ثم شيطانة تحمل الألم والمرض.. ثم ملكة مصاصي الدماء..

قاطعتها: ملكة مصاصي الدماء؟ ألم تكن "أركالا"؟

"ليليث": ذكر التاريخ الكثيرات بعدي

: كيف حدث ذلك؟ كيف تحوّلت أنت إلى "كايميرا"؟

"ليليث": لقد تحوّلت إلى ذلك المخلوق عندما اختلطت دماؤنا سوياً.. هل تدرك أن بعضًا من دمائك كانت كفيلة بصنع ذلك الوحش؟

نظرت على ظهرها: ولقد برأت جراحك كذلك!!!

"ليليث": شعرت حينها بقوة غير عادية تتخللني.. أتعلم؟ إن أغلب ظنّي هو أن قوتك هي صنع الـ "كايميرا" من دماء الشيطان.. لأنني موقنة بأنه لن يتحمّل كائن ذو بنية محدودة كل هذه القوة..

: إذاً، لقد كان الأمر حقيقي إذا.. أنا من سلالة "هوميروس" وآخرها على ما أظنّ..

"ليليث": لقد برأ جرحك كذلك..

نظرت إلى كفّ يدي ذي الأصابع المبتورة: نعم، ولكن ينقصه بعض الأصابع..

"ليليث": كانت خطّة ذكية من "وائل" أن يرسل لنا من نقاتله في حين يرسل "خارون" يحصد رؤوسنا فقط من خلفنا..

: كنت أتمنّى أن أنقذ الجميع ولكنّني عجزت عن ذلك..

"ليليث": هوّن عليك.. لقد انتهى الأمر..

...

رفعت رأسي فإذا بـ"عم زمباع" يقف ذاهلًا ولا تبرح عيناه البيت: ستقتلني الحاجة حتماً..

قلت في هدوء: لا تقلق! لم يكن خطؤك.. لقد سقطت بعض المؤثرات على أماكن حساسة في البيت فسقط..

عم "زمباع": هل انتهى التصوير؟

: تصوير؟ هل أنت مصمم أن ذلك كان فيلمًا نسجله؟

عم "زمباع": طبعاً.. وهل تريد أن تقنعني أن كل ذلك كان حقيقياً؟ إذا أين الجثث التي كانت موجودة بالأمس؟

: لقد كان حقيقيًا يا عم "زمباع"

عم "زمباع": أشم رائحة غدر وأنك لن تعطيني أجرًا عن المشهد الذي مثلته..

أشرت له بيميني قاصداً: أين ذهبت بعد أن ركضت؟

عم "زمباع": ابتعدت بالدراجة إلى المقهى الذي نشرب فيه الحشيشة جميعاً

: ذلك المقهى على بعد كيلومترين من هنا ولا شيء بيننا.. ألم تسمعوا صوت صراخ أو انفجار؟

عم "زمباع": طبعاً، لقد أخبرتهم أنك تمثل فيلمًا وستظهر فيه بشخصيتين.. الطيب والشرير.. بينما سأظهر أنا كخادمك المخلص المضحي الأمين.

قاطعته: شخصيتين؟

عم "زمباع": لقد أفزعتني حقًا عندما تقمّصت دور "وائل" ثم ركضت من أمامك ووجدت في وجهه –ثم حكّ عمامته- كيف فعلت ذلك؟

: أخبرتك أنه حقيقي

ابتسم في خبث: لن تضحك علي هذه المرة أيضاً.. هذه تقنية الأستاذ "محمود عبدالعزيز" في فيلم "إعدام ميّت".. لقد أعجبتني كثيراً.. أخبرني، كيف قمت بها..

أشرت له بيميني ذات الأصابع المقطوعة مجدداً: لقد كان الأمر حقيقياً

نظر إلى "ليليث" الصامتة: يريد أن يضحك عليّ وأن يظهرني غبيًا أمامك.. قد أبدو بسيطًا يا أستاذة "ريهام" ولكنني أؤكد لك بأنني مطّلع وأعرف جيدًا هذه الأمور.. إنني أشاهد كواليس الأفلام كثيراً..

رفعت "ليليث" رأسها له في إرهاق واضح: ألست تنصحني دومًا أن أرتدي شيئاً؟ وها أنا ألتحف بملاءة "آرتميس" حتى تحضر لي ثوبًا أرتديه..

نظر لي عم "زمباع": متى سيذاع الفيلم؟

: بعد شهر من الآن.. وسأضع اسمك على إعلان الفيلم بجانب الأبطال..

قال في فخر: سأنتظره في شوق من الآن.. أ.. سأذهب لأحضر للأستاذة "ريهام" شيئًا تلبسه-ثم ابتسم في خبث- لا تعتقد بأنني لم ألمح يدك اليمنى.. كيف أخفيت أصابعك بهذا الشكل؟

...

حمدت الله أنني لم أضع السيارة أمام العزبة في تلك الليلة المشئومة.. وإلا عدت أنا و"ليليث" نجلس خلف عم "زمباع" على دراجته مثل أقساط اللبن الكبيرة..

...

: تفضّلي يا "ليليث"

دخلت "ليليث" مرتدية جلباب عم "زمباع" وعمامته وهي تلفّ شعرها على وجهها في هيئة شارب ولحية سخيفين لن يقتنع بهما

أطفال الحضانة.. ولكن، عودتنا في هذا الوقت المبكر جدًا من اليوم أنقذنا..

جلسَت على الأريكة في حين دخل عم "زمباع" إلى المطبخ ليطهي لنا شيئًا نأكله ويعدّ لنا الحمّام..

جلسْت أمامها قائلاً: وماذا بعد؟ أنا لم أجد طريقة بعد لأعيدك بها إلى عالمك..

"ليليث": أنا لم أكن في المدينة الفاضلة على كل حال..

: ألا تريدين أن تتحدثي عن نفسك ولو قليلاً

"ليليث": يكفي أن تعرف بأنني كنت أسكن الجحيم.. انتظر! لدي فكرة..

: أخبريني

قاطعنا عم "زمباع" عندما خرج فجأة: الطعام جاهز، سأعود إلى العزبة الآن..

: بهذه السرعة؟ ماذا صنعت

عم "زمباع": صراحة! لم أتعب نفسي فأحضرت بعض الشطائر.. أنا في سن والد..

قاطعته في ضيق: يا عم "زمباع" أنت لست في سنّ والدي ولا والدها ولا أي والد على وجه الأرض.. شكرًا على الشطائر وتفضل بالعودة إلى العزبة.. وإذا سمحت بإحضار عمال ليستخرجون كل شيء يخصنا تحت ركام البيت هناك..

عم "زمباع": أتعرف أكثر ما أعجبني من مشاهد؟

: ماذا؟

عم "زمباع": مشهد أكل الضابط.. كان حقيقيًا جداً.. لقد ظننته ميتًا بالفعل تلك الليلة.. وكدت أصدقك لما تصنّعت الدهشة..

"ليليث": هلا تفصّل ذلك؟

عم "زمباع": هل نسيتم؟ المشهد الذي أكل العملاق فيه جثة الضابط وهو يظن أن لا أحدا يراه..

نظرت إلى "ليليث" ثم له: نعم، نعم، لقد كان أحد المشاهد الصعبة جداً.. والآن عد إلى العزبة إذا سمحت وافعل ما أخبرتك به.. ولا تخبر والدتي شيئًا حتى أخبرها أنا..

عم "زمباع": حسناً..

انصرف عم "زمباع" وأغلق الباب خلفه ثم قالت "ليليث": لقد اتهم "بوليفيموس" جثة الضابط عندما علم بخطورة ذلك عليك!

أطرقت برأسي: وكان يقول "وائل" أننا ملاعين.. لو كان الملاعين يفعلون ذلك.. لاستحقوا الحياة رغمًا عن الذين يظنّون أنفسهم ملائكة..

قلت: كنت بصدد إخباري بفكرة قفزت إلى رأسك..

"ليليث": هل تعيش هنا وحدك؟

قلت في قلق: لا! لم؟

ضحكت وهي تقول: لا أقصد شيئاً، يمكنك أن تحتفظ بي في غرفتك دون أن يدري أحد حتى نجد حلًا ما أعود من خلاله..

: وكيف ذلك؟

"ليليث": أنا أختفي، ولو لم يكن ذلك مريحًا لك، سأنكمش حتى أصبح كالدمية الصغيرة..

أعجبتني الفكرة كثيراً.. على أن تصبح بشكلٍ مؤقت على الأقل..

...

بعد حمام دافئ لم أنعم به منذ فترة ورائحة البخور التي تملأ المكان من حولي.. رحت أجلس في غرفتي أدوّن ما حدث بالحرف الواحد لعلّي أجد فيه مخرجًا عند مراجعته وحتى لا أنسى تفاصيل ما حدث.. في حين تلعب "ليليث" فوق المكتب بالممحاة والقلم الرصاص في سعادة بالغة.. خصوصاً، بعدما ابتعت لها ملابس الدمى عبر الإنترنت من دولة أخرى.. فأعجبتها كثيراً.. وأعجبتني الفكرة فابتعت لها بيت الدمى الصغير بمشتملاته من ملابس وإكسسوارات ونحوه.. طالما أننا سنعيش مع بعضنا فترة لا بأس بها، فيجب أن تكون مريحة لكلينا..

...

كنت أشرب كوبًا من الشاي أتذكّر به الأيام الماضية في حنين للأشخاص..

فظهر أمامي ظلّان ميّزتهما فور أن رأيتهما..

"طنطل" و"سعلوة"

...

نهضت من مكاني في ثقة هذه المرّة وفي غضب شديد: لو لم تغربا عن وجهي الآن..

قاطع "طنطل" كلامي في هدوء مقبض: لم نأت هنا لتحدّيك

"سعلوة" بذات الهدوء المقبض: جئنا نعمل تحت إمرتك

جلست في غير فهم.. أعدل من وضع النظارة: تحت إمرتي؟ هل تمزحان؟

نظرا إلى بعضهما ثم إلي في صمت..

مالت "ليليث" برأسها من خلفهما: أظنهما صادقين

: و.. ولكن.. ماذا أفعل بهما؟

"ليليث": هم يختفون ويتمددون وينكمشون مثلي ويستطيعون استيعاب قدر هائل من القوة..

نظرت لهما ثم لها..

"طنطل": بدلًا من أن يصبح لديك "كايميرا" واحدة

"سعلوة": استخدمنا "كايميرا" تحت إمرتك

"ليليث": ثلاث "كايميرات" أفضل من واحدة

مبدأ مجنون..

أن أعيش وتحت يدي ثلاثة وحوش يستطيع الواحد منهم أن يزيل مدينة من فوق الأرض!!!

قلت في تردد واضح: ولكن، أين ستعيشون؟.. لا تخبرونني أنكما ستعيشان هنا..

نظرا إلى بعضهما ثم قال "طنطل": نحن كائنات ملعونة وطريدة كل من أراد أن يشتهر اسمه ويصبح بطلاً.. نحن نعيش بجوار المستنقع لا بين بني الإنسان..

نهضت وأنا أقول: ولكن هذا سيصبح وضعًا مؤقتًا إلى أن أعرف كيف أستطيع أن أعيدكم من حيث أتيتم..

"طنطل": لامشكلة

نظرت لهما ثم أردفت: لا تقبضا روح أحد ولا تفسدا في الأرض.. فقط عيشا في سلام حتى أقرر ماذا أفعل.. وحتى لا يلتفت أحد إلى وجودكما.. من الجميل أن الجميع أصبح يصنّفكما كخرافة غير موجودة على الإطلاق –ثم نظر لـ "ليليث"- لا تستثن نفسك، فالناس يعتقدون أنك الأخرى خرافة لا وجود لها..

"طنطل": لا مشكلة..

: حسناً، تستطيعان أن تختفيا- ثم نظرت إلى "ليليث" – وأن تنكمشي مجدداً

...

اتصل بي عم "زمباع" هاتفيًا عصر ذلك اليوم يخبرني بالتالي:

عم "زمباع": لقد جاءت الشرطة تسأل عنك

: وعليكم السلام ياعم "زمباع".. لم أسمع أخبارك الجميلة تلك منذ فترة

عم "زمباع": كانو يسألون عم حدث للبيت وإن كان هناك أية ضحايا.. فمثلًا لو كنت أنت مدفونًا تحت الأنقاض أو أنك قد تمزّقت لأشلاء حتى يبحثوا عن جثّتك.. فأخبرتهم أن الأمن مستتب وأن البيت كان خاليًا عندما سقط على من فيه

: كان خاليًا عندما سقط على من فيه؟

عم "زمباع": طبعا.. فالبيت كان خاليًا عندما سقط فوقك وأنت "رامي"

: "وائل" يا عم "زمباع".. ليس "رامي".. حسناً.. غير ذلك؟

عم "زمباع": لقد وجدوا الكثير من الكتب.. هل تحتاجها؟ لأنني أنوي أن أضعها في المدفأة لأن البرودة هنا قارصة بالليل..

: لا تأخذ الأوراق يا عم "زمباع" ولمعلوماتك فقط، نحن في فصل الصيف.. أية أخبار أخرى؟

عم "زمباع": نعم، لقد وجد العمال المرأة المجنونة التي ترتدي الأبيض وتجلس خلف أنقاض البيت تبكي طفليها اللذين أغرقتهما بيديها في النهر..

استرعت انتباهي تلك المعلومة فسألته: أي امرأة هذه؟ هل هناك امرأة مجنونة في المنطقة؟

عم "زمباع": نعم، عندما سألتها عن اسمها قالت "ماريا".. هي بيضاء وشعرها منسدل وفاتنة مثل الأجانب ولكن، لا يعطي الله كل شيء يا ولدي.. لا تغضب عندما أقول يا ولدي فأنا في سنّ والدك..

: ومتى ظهرت هذه المرأة بالضبط؟

عم "زمباع": في ذات الليلة التي سقطت فوقك جميع الكتب من المكتبة..

...

قصصت على "ليليث" قصة المرأة التي وجدها عم "زمباع" فرفعت رأسها من داخل فنجان القهوة التي كانت تلعب داخله متعجبة.. ثم خرجت منه وهي تقول: أتعلم أن "ماريا" تذكّرني بأسطورة مكسيكيّة اسمها "لا لورونا"؟

: أكملي!

"ليليث": هي قصة يخوفون بها الأطفال عن امرأة فاتنة مغرورة كانت لا تهتم لأحد حتى تزوجت شخصًا لا يهتم لها.. فانتقمت منه بأن أغرقت أطفالها في النهر انتقامًا منه.. وهي تخرج كل يوم تنوح عليهم..

: ولماذا يخيفون بها الأطفال؟

"ليليث": يخبرون الأطفال أن من يخرج ليلًا ستخطفه النائحة تلك وتلقيه في النهر ليموت..

: أنا غير مطمئن لأمر تلك المرأة على الإطلاق..

"ليليث": ماذا حدث يوم المكتبة هذا؟ أخبرني!

وضعتها فوق شاشة الكمبيوتر أمامي وقلت: سقطت وأنا أتسلق المكتبة فسقطت جميع الكتب فوق

"ليليث": هل كانت الكتب مفتوحة؟

نظرنا لبعضنا في صمت للحظات..

: أتظنين أن هناك آخرين قد خرجوا ولا نعرف عنهم شيئاً؟

"ليليث" في حيرة: دعنا لا نتسرع

: لو حدث ذلك فهي مصيبة.. أنا لا أعرف أي الكتب كان فوق وأيها كان مفتوحًا وأيها لمسته بيميني أو بيساري!!!

"ليليث": فلنفترض الآن أنها مجرد امرأة مريضة قد فقدت عقلها لا أكثر وأن ذلك كلّه كان من محض الصدف.

قطع حديثنا اتصالًا هاتفيًا من عم "زمباع": ألو.. كيف حالك يا أستاذ "عميرة"

: تحسنت في هاتين الدقيقتين اللتان تركتني فيهما.. شكرًا لك.. خيراً

عم "زمباع": أريد أن أستأذنك في طلب يا بنيّ..

قاطعته قائلاً: أقسم لك أنك لست في سنّ والدي.. أخبرني ماذا تريد؟

عم "زمباع": لقد وجدت الدجاجة ذات الأربعة أرجل حيّة.. هل أخذها لأربّيها؟

: دجاجة حية؟ وبأربعة أرجل؟ عم تتحدث؟

عم "زمباع": الدجاجة التي كنت تخبئها من عمك "زمباع" بجوار باب المطبخ الخلفي

: متى وجدت تلك الدجاجة؟

عم "زمباع": ذات يوم سقوطك والمكتبة فوق رأسك.. عندما كنت أركض خلف الدجاجة ووجدت المرأة الحمراء التي هي أستاذة "ريهام" ولم تخبرني بأنها هي التـ..

: انتظر انتظر.. أحضر لي هذه الدجاجة حية

عم "زمباع": صراحة.. لـ.. لقد ذبحناها وقمنا بشوائها في المقهى في ذات الليلة.. لقد دعوت المقهى كله ليأكل منها..

قلت في غيظ: أخذت الدجاجة وأكلتها؟

عم "زمباع": لقد كانت كبيرة بحجم الكلب.. حتى أن أحد الشباب قد أخبرني بأنها تشبه بالضبط شعار أندية الكرة..

: شعار الأندية؟.. الرجاء يا عم "زمباع".. عندما تجد شيئًا يخصّني، أن تحضره لي مباشرة لو لم يكن ذلك يضايقك أو به بعضًا من إساءة الأدب

عم "زمباع": لا مشكلة.. أنا في سن والدك ويجب أن أتحمّلك

: تتحملني؟.. أرجو أن تحضر لي الكتب في أسرع وقت

عم "زمباع": كلها؟

: نعم، ولا تأخذ منها ورقة واحدة

عم "زمباع": سأحضر لك ما أستطيع إحضاره إذاً

قلت وأنا أشتمّ مصيبة أخرى: هلا كففت عن الصياح في عمالك في أذني وتخبرني ماذا حدث؟

عم "زمباع": لـ.. لقد تلفت الكتب ولم تعد أأأ.. صالحة للاستخدام

: تلفت؟ هل كان يكتب جدّي على ورق الطعام؟ ماذا حدث قبل أن أفقد أعصابي

عم "زمباع": لقد بعت الكتب لبائع الروبابكيا.. ولكنني سأحضر لك النقود.. حدّ الله بيني وبين الحرام طبعا..

...

قالت "ليليث": دجاجة عم "زمباع" تلك لا تبشّر بأي خير أبداً..

: ماذا تظنّينها؟

"ليليث" وقد رفعت حاجبيها: لو صدق حدسي فقد ذبح ذلك الرجل "غريفن"..

: "غريفن"؟

"ليليث": كائن خرافي بجسم أسد ورأس وجناحي عُقاب

: اللعنة! ويقول لي دجاجة بأربعة أرجل؟

"ليليث": أسحب كلامي كاملاً.. أظنّك بالفعل قد أطلقت سراح كائنات لا نعلمها..

: وماذا نفعل؟

"ليليث": أرى أن ننتبه جيداً.. فنحن لا نعرف ما قد نواجه.. ولنبق على حالنا هنا، أمثل دور الدمية وتعود إلى حياتك السابقة..

...

(صفحة أخيرة)..

كان كلام "ليليث" هو ما حدث فقد كان هو الأقرب للمنطق..

حتى هذه اللحظة، وهي تمثّل دور الدمية فوق أحد الأرفف وكفّت عن المغازلة والقبل في الهواء.. وهي الآن سعيدة بألعابها كطفلة حمراء قزمة..

عدت إلى حياتي السابقة بعد أن شرحت لوالدتي قصة الفيلم الذي كنا ننتجه أنا والأستاذة "ريهام".. وكانت "ليليث" بالطبع هي الأستاذة "ريهام" التي تزورني كل فترة..

أصيبت أمي بصدمة من مشهد أصابعي المبتورة فأخبرتها بأنه كان حادث سيارة على طريق العزبة هو السبب ولم أرد أن أزعجها بذلك الخبر..

يزورني "طنطل" و"سعلوة" على فترات بصفتهما صديقين كئيبين مقرّبين منّي.. وتناقشت معهما و"ليليث" في أن نحاول جاهدين أن نجد طريقة ليعود العالم بها كما كان.. العالم الطبيعي في مكانه والميثولوجيا في العالم الموازي..

كما أخبرني "طنطل" بأنه كان قد ساعد "وائل" على التواصل مع "هي ووت" والاعتذار لها عن عدم تواجدي للفترة التالية.. ولذلك، فقد اختفت فجأة وسافرت إلى "بولندا"..

يشرف عم "زمباع" هذه الأيام على بناء البيت من جديد وزراعة العزبة.. وهو لا يزال منتظر عرض الفيلم في السينما أو أن أحضر له نسخة مهربة منه.. كما أنه مصرّ أنه في سن والدي –رحمه الله-..

وأخيراً، اتفقت أنا و"ليليث" على أن نزيّن الحائط بصور لـ

" بوليفيموس"،

"آرتميس"،

"ثينو"،

"جلجامش"،

"إدفن"

وأخيرًا "أبو زيد الهلالي"..

***